الحب على طريقة أينشتاين

ديوان العرب للنشر والتوزيع

اســـــم الكتاب: الحب على طريقة أينشتاين
اســـم المؤلف: د. طارق إبراهيم الشناوي
التصنيـــــــف: رواية
الحجـــــــــم: 14 - 20
عدد الصفحات: 84
سنة الإصـــدار: 2025
رقـــم الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: 13198 / 2025
الترقيم الدولي: 1 – 188 – 971 – 977 - 978

تدقيـــق لغوي: فريق ديوان العرب
تصميم غـــلاف: هبة إبراهيم
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

للتواصل: dewanalarabegypt@gmail.com
واتساب: 01030502390

الحب على طريقة أينشتاين

رواية

د. طارق إبراهيم الشناوي

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى أبي وأمي

إلى زوجتي وابني وابنتي

العائلة.. أغلى ما يملك الإنسان

د. طارق إبراهيم الشناوي

****

الفصل الأول

نبيل نهرو

بعد خمس سنوات من الدراسة في قسم الهندسة النووية بكلية الهندسة، وبعد عام إضافي في الخدمة العسكرية، انتهى بي الحال لأن أعمل مدرسًا للعلوم بالحصة، في إحدى المدارس الحكومية البائسة، بقرية أبيس العاشرة، على أطراف الإسكندرية. كان المطلوب مني أن أدرس للتلاميذ الجدول الدوري، وتصنيف العناصر، وأن أجري لهم عدة تجارب، في معمل أشد بؤسًا، عن تأثير الأحماض والقلويات على زهرة عباد الشمس، وعن تأثير اتحاد غاز النشادر مع حمض الهيدروكلوريك المركز. كان حضرة الناظر صريحًا معي منذ اليوم الأول؛ أهم شيء هو الالتزام بالحضور يوميًا، وأن تكون نتيجة النجاح بالمدرسة هي مائة بالمائة. لا يمانع في أن أقوم بإعطاء دروس خصوصية، مع الأخذ في الاعتبار أن معظم أهالي التلاميذ فقراء، وعدد كبير من التلاميذ لا يحضرون إلى المدرسة بانتظام، ويعملون أعمالًا أخرى لمساعدة أهاليهم. قال لي حضرة الناظر أنه سوف يرتب أن تكون حصصي هي الحصص الأخيرة في الجدول، ونصحني أن أبحث عن عمل آخر،

فمرتب التدريس لن يسمن ولن يغني من جوع. كانت ملحوظته الأخيرة هي أن أخفي عن الجميع، مدرسين وتلاميذ، أنني مهندس، وأن اسم أبي نهرو. أتفهم نصائحه جيدًا.

بعد شهور، وجدت عملًا إضافيًا في أحد محلات منطقة محطة الرمل؛ أقوم بتصليح أجهزة الهاتف، وتنزيل البرامج المختلفة عليها. يقولون لي يا باشمهندس نبيل، ولا يعرف أحد، سوى صاحب المحل، حكاية الهندسة النووية، أو حكاية نهرو. أنهي عملي في المدرسة حوالي الساعة الثانية ظهرًا، ثم أركب وسيلتي مواصلات، حتى أصل إلى محطة الرمل، قرب الثالثة عصرًا. أتوجه إلى مطعم (محمد أحمد)، عتيق الطراز، أتبادل التحية مع عم عبودة العجوز، والذي صار صديقي، بدون أن يعرف اسمي. عندما أطلب شطيرتي بطاطس وبيض، على سبيل التغيير، بدلًا من الفول والطعمية، يضع لي عم عبودة قرصًا من الطعمية الساخنة، خلسة، وهو يغمز لي بعينه، على سبيل التحية.

ثلاث دقائق سيرًا على الأقدام، وأجد نفسي في حديقة سعد زغلول، المواجهة للكورنيش. أجلس على السلالم الرخامية، متأملًا البحر، وباحثًا عن مغزى فلسفي، فلا أجد. لا أحب الجلوس على سور الكورنيش كما يفعل الكثيرون، وخصوصًا من المتحابين. يعطون ظهورهم للمدينة، وينظرون باتجاه البحر، متشابكي الأيادي، وغير عابئين بالمارة، ولا بعبارات التنمر أو السخرية. ربما لو جلست بينهم، وحيدًا، ربما أتلقى

عباراتٍ أكثر سخرية واستهزاءً، أما هنا، تحت أقدام الزعيم العظيم، فلا يوجد ما أخشاه. الزعيم أيضًا يعطي ظهره للمدينة، وينظر نحو البحر، قدمه اليسرى متقدمة عن اليمنى، ماذا يريد النحات أن يقول؟ أستمر بقضم الشطائر قبل أن تبرد، وأنادي على صديقي البائع الصغير، سيد سايكو، ليحضر لي زجاجة مثلجة من المياه الغازية، حتى أزيل آثار جريمة (محمد أحمد). أنتهي من الزجاجة مع أذان العصر، ينطلق من جامع إبراهيم باشا ابن محمد علي الكبير. فرصة للدخول إلى الحمام، الوضوء، والصلاة، قبل أن أتوجه إلى المحل، أعمل حتى العاشرة مساءً، وربما أكثر، حسب الزبائن.

عندما أعود إلى البيت، أدعو الله كل ليلة أن تكون أمي قد نامت. لا أريد أن أقف أمامها في حصة التقريع المعتادة، ولا التنمر على المهندس النووي الذي يعمل مدرسًا صباحًا ويصلح الهواتف المحمولة مساءً، ولا على الدخل الهزيل، ولا حتى على شطائر محمد أحمد. أصبحتْ أمي مؤخرًا سليطة اللسان. مؤخرًا؟ هل كانتْ هكذا طوال الوقت؟ ربما؟ ماذا كنتَ تفعل معها يا نهرو؟ لماذا متَّ يا نهرو وتركتنا معها؟

وافقتْ أختي سناء على أول عريس طرق بابها، فقط، لمجرد أنها ستسافر معه إلى الخليج، حيث يعمل، وتترك البيت بمن فيه. حتى في الإجازات السنوية، تقضي سناء في بيت أهل زوجها أكثر مما تقضيه معنا. يتركها زوجها لنا يومين أو ثلاثة، لتشبع منا ونشبع منها، كما يقول، ثم يفر

قبل أن تناله كلمات أمي. عندما يأتي ليأخذ زوجته، لا يصعد حتى، بل ينتظرها أسفل البناية.

أما أخي الأكبر، الدكتور إبراهيم، فلا نكاد نراه، بعد أن تزوج وسكن في منطقة بعيدة، متعللًا بعمله في المستشفى الحكومي نهارًا، وفي عيادته الخاصة ليلًا، وإن كان يرسل لنا، كل شهر، مبلغًا من المال، تستعين به أمي، إلى جانب معاش أبي، على تدبير شئون المنزل. من وقتٍ لآخر، يرسل لي إبراهيم تحويلًا ماليًا، ويطلب مني ألا أخبر أمي بذلك. لإبراهيم هواية عجيبة، لستُ أدري من أين يأتي بالوقت ولا بالمزاج الرائق ليمارسها، فهو يكتب قصصًا قصيرة! يرسل لي صورًا لقصصه المنشورة في الصحف والمجلات، مصحوبة بصورته وممهورة باسمه، الدكتور إبراهيم نهرو. ما أشجعك!

تريد أمي مني أن أتزوج بنت الحلال، وبما أننا، أنا وبنت الحلال، سنعيش معها بالتأكيد، في ظل دخلي المتواضع، وعدم قدرتي على تدبير سكن مستقل، فمن الطبيعي أن تختار هي زوجتي، حتى تجنبني من المشاكل ما أنا في غنىً عنه. وجهة نظر منطقية جدًا. لا تنسى أمي أن تضرب لي عدة أمثلة لزيجات فشلت بسبب عدم التناغم بين الزوجة وبين الأم، ولا بأس من بعض الأحاديث النبوية عن أمك ثم أمك ثم أمك، وأشياء من هذا القبيل. في الفترة الأخيرة، بدأت أمي تمارس نوعًا جديدًا من الضغط، بعد يوم عمل شاق، أعود للبيت فلا أجد طعامًا، وتتحجج أمي بأنها قد كبرت في

السن، وتحتاج لمن يساعدها، وأنه يجب علي أن أحضر لها خادمة، أو أن أتزوج. يبدو أن أمي تقرأ الأفكار، أيضًا:

- يمكنك، بعد عمر طويل إن شاء الله، أن تتزوج من تحلو لك، بعد أن يخلو لكما البيت، ولا تنس ساعتها أن تشتري لي مبرد مياه (كولدير)، وأن تضعه تحت البناية، على سبيل الصدقة الجارية لأمك، قليلة الحظ في الزواج، وفي الأبناء أيضًا.

في عصر أحد الأيام المتشابهة، رأيتها للمرة الأولى. تشبه عشرات الفتيات الأخريات. لماذا صارت فتيات هذه الأيام يشبهن بعضهن البعض إلى ذلك الحد المرعب؟ كما المعلبات على رفوف محلات السوبر ماركت. رفيعة نسبيًّا، متوسطة الطول، خمرية البشرة، ولا تضع مساحيق تجميل، ومحجبة. كانت تجلس على مقربة مني، وحيدة، تأكل شطائر منزلية الصنع، وعندما طلبت من سايكو زجاجة المياه الغازية المعهودة، أقحمت نفسها في الحديث قائلة:

- هذا النوع مقاطعة يا أستاذ. يمكنك أن تشرب نوعًا آخرَ.

فكرتُ أن أقول لها وما شأنكِ أنتِ؟ أنا حر، ولكنني أحجمتُ. طلبت من سايكو أن يحضر لي زجاجة أخرى، وسألتها إن كانتْ تحب أن أطلب لها زجاجة، فهزت رأسها في رفض، وأكملتْ:

-إن أبسط ما نقدمه لإخواننا هو أن نقاطع بضائع الشركات التي تدعم المحتلين.

- معكِ حق، وإن كانت هذه الشركات أيضًا مصرية، ويعمل بها مصريون، وتوقفها عن البيع، سيجعل الآلاف بلا وظائف.

- طالما هناك البديل الوطني، فلتشجع منتج بلدك. بعد إذنك.

اختفتْ فجأة كما ظهرت فجأة. ووجدت سايكو يناولني زجاجة مياه غازية غريبة، اسمها (سبيرو سباتس)، وملصق عليها صورة نحلة، منتج وطني؟ كان طعمها مختلفًا، وقلتُ لنفسي، ربما لو تعودتُ عليها.

- هل تعرف هذه الفتاة يا سايكو؟

- يبدو أنها تعمل في أحد المحلات القريبة من هنا يا باشمهندس. تأتي كل يوم في نفس الموعد، وحدها في بعض الأيام، ومع بعض زميلاتها في أيام أخرى. لا تطلب شيئًا إلا فيما ندر. أجازتهم يوم الأحد.

أجبرتُ نفسي على ابتلاع السائل العجيب، كان رغويًّا قليلًا. لماذا استجبت لها؟ منتجات وطنية؟ هه؟ لم أسألها عن اسمها، وحتى إذا كنت قد سألتها؟ هل كانت ستجيبني؟ وما الذي يهمني في معرفة اسمها؟ إنني أتعامل يوميًّا مع العشرات ممن يأتين إلى المحل لإصلاح هواتفهن، ولم أفكر في أن أسأل إحداهن عن اسمها. على كل حال، إن كانت كما يقول سايكو تعمل قريبًا من هنا، فحتما سأراها مرة أخرى. في هذه الحالة عليّ أن أكون أكثر حزمًا معها، أو أن أتحمل ارتشاف هذا السائل اللعين، أو، فلأطلب من سايكو، على سبيل التغيير، كوبًا من الشاي بالنعناع. النعناع وطني، فماذا

عن الشاي؟ توجد أنواع منه في قوائم المقاطعة، نحن لا نزرع الشاي. أين سمعتُ هذه الجملة؟ عليك اللعنة أيها المشروب الرغوي. فات أوان صلاة العصر. حتى دخول حمام الجامع، صار الآن حلمًا بعيد المنال، فموعد عملي قد حان، ولا أمل إلا عندما أعود إلى البيت في المساء.

****

الفصل الثاني

غادة

على الرغم من أنني حاصلة على بكالوريوس آداب، قسم تاريخ، إلا أنني أعمل بائعة في أحد محلات بيع الملابس النسائية في شارع سعد زغلول، بمنطقة محطة الرمل. إنها الوظيفة الوحيدة المتاحة. يبدو أن بلادنا ليست في حاجة إلى متخصصين في التاريخ، حتى أنني سمعتُ أنهم سيلغون مادة التاريخ من المناهج الدراسية! كان أبي موظفًا كبيرًا في أحد المصالح الحكومية، ولكنه أحيل إلى التقاعد منذ عدة سنوات، وأعيش معه، أنا وأمي ربة المنزل، من معاشه المعقول. عارض أبي عملي كبائعة، يقول إنها وظيفة لا تليق بي ولا به، ولكنني أقنعته بأنه عمل مؤقت، حتى أجد عملًا آخر. إن جلوسي بجانبه في المنزل لن يأتي لي بالوظيفة المنشودة. أما أمي، ريفية الأصل، وعلى الرغم من إيمانها العميق بأن البنت مصيرها لبيتها ولزوجها، إلا أنها لم تعارض في عملي، على أمل أن تعجب بي واحدة من الزبائن، فترشحني عروسًا لابنها أو لأخيها.لا نزور أحدًا، ولا يزورنا أحد، حتى صديقات الدراسة القلائل، لم أعد أتواصل معهن، فمنهن من تزوجت

وأنجبت، ومنهن من ارتبطت، ومنهن من ابتعدت، بلا سبب. تصنع لي أمي الشطائر كل يوم، مثلما كانت تفعل منذ أن كنت في المدرسة. أختلس دقائق الراحة التي تمنحنا إياها المدام، صاحبة المحل، حتى أسرع إلى التهام الشطائر في الحديقة المجاورة. أتأمل البحر الواسع الممتد أمامي على طول البصر، بلا نهاية. أرى العديد من الفتيات، في سني، وربما أصغر، يمشين بجوار سور الكورنيش، أو ربما فوقه، ممتلئين بهجة وسعادة، مع شبان غريبي المظهر، كلهم على نفس الشاكلة. ما الذي حدث لشبان هذه الأيام؟ ملابس مقطعة، غير متناسقة، شعور طويلة، تشبه شعور البنات، أو محلوقة من الجانبين، ومرتفعة من المنتصف. كيف تسمح البنت لنفسها أن ترافق شابًا غريبًا عنها، تتركه يمسك يدها، ويسير معها، عيانًا جهارًا، في أكثر شوارع الإسكندرية ازدحامًا؟ ألا تخاف أن يراها أحد، فيبلغ أهلها؟ أليس لها أب، أو أخ، تخشى أن تلقاه وجهًا لوجه، وهي هائمة مع رفيقها؟ لم أمر بالتجربة بشكل شخصي، ولكنني سمعتها عشرات المرات، مع اختلاف التفاصيل، من زميلاتي في الجامعة، ومن البنات اللاتي تعملن معي في المحل. كثيرًا ما كنت أتخيل نفسي وأنا أتحاور مع إحدى فتيات الكورنيش:

- أختي الحبيبة، أنا قادمة لك من المستقبل، هذا الشاب الأرعن الرقيع، يتسلى بكِ، إنه لن يأتي إلى والدكِ، ولن يطلب يدكِ للزواج، أقصى ما يستطيع تقديمه هو أن يطلب لكِ زجاجة مياه غازية، أو كوبًا من الآيس كريم، أو ذرةً مشوية في ليالي الشتاء الباردة. نفس البدايات الجميلة،

واللحظات الرائعة، وإحساس طاغٍ بالسعادة التي طال انتظارها، ولا مانع من بعض اللمسات المختلسة، ثم، عندما تبدأين في الحديث عن المستقبل، وتسألينه متى سيأتي ليقابل والدك، سيبدأ التحول. ستفاجئين بشخص آخر، غير الذي كنتِ تحسبين أنك تعرفينه أكثر من نفسك. سيتهرب من المواعيد، وسينتحل عشرات الأعذار، ثم سيختفي من حياتك. بعضهم سيصارحك، والبعض الآخر سيكتفي بإلقاء شريحة هاتفه في البحر الواسع، ثم يشتري شريحة أخرى برقم جديدة، ويعيد الكرة مع فتاة أخرى.

شاب واحد لا يبدو مثل الباقين. دائما ما يجلس وحيدا تحت تمثال سعد باشا، وينادي البائع الصغير اللحوح بالباشمهندس. شطائره دائمًا من مطعم (محمد أحمد)، لا يغيره. يأكل ببطء، وبدون كلام، فقط بإشارة صغيرة من يده، يأتي له سايكو بزجاجة المياه الغازية. اليوم، قررتُ أن أنبهه إلى أنها من المنتجات المقاطعة. ابتسم، واستجاب ببساطة، وطلب من سايكو تغييرها. عرض عليّ أن يحضر لي واحدة، فرفضتُ. حاول أن يبدأ معي حوارًا، فلم أعطه الفرصة، وانصرفتُ مسرعةً. رجعتُ إلى المحل قبل انتهاء فترة الراحة، فوجدتُ زميلاتي البنات يتهامسن في جو من التوتر. كانتْ بطلة القصة هذه المرة هي أماني، وثقتْ بأحد هؤلاء الشبان، لم تفعل معه شيئًا، هكذا تقول، غاية ما هنالك أنها أرسلتْ إليه بعض صورها شديدة الخصوصية، وبعض الفيديوهات لها وهي ترقص، بكامل ملابسها، هكذا تقول، بناءً على طلبه، حتى يشعر أنها معه في كل الأوقات، هكذا قال!

والآن، النذل يساومها، إما أن تفعل ما يطلبه منها، وإما أن يفضحها وينشر الصور والفيديوهات على صفحته وصفحتها على الفيسبوك. هددها أيضا بأنه سيرسل الصور والفيديوهات إلى أهلها وصديقاتها. انتهت فترة الراحة، وبدأت المدام صاحبة المحل تنظر إلينا من طرف خفيّ، تريد أن تعرف ما نخفيه. بعد قليل، وعندما هدأتْ الحركة في المحل، استدعتْ المدام زميلتنا بسمة، عين المدام وأذنها على البنات، ولكن يبدو أن بسمة لم تقل لها شيئًا في هذه المرة.

بعد انتهاء العمل، انتحيتُ بأماني، طلبتُ منها أن تخبر أهلها بالخطوط العريضة، لا داعي للتفاصيل، وأن تبلغ الشرطة. قالت أماني إن أهلها سيقتلونها إن عرفوا شيئا كهذا، أو على أفضل الفروض، فسيمنعونها من العمل، ومن الخروج من المنزل نهائيًّا، وربما أرسلها والدها إلى بلدتهم الريفية، ليزوجها زواج السترة. رافقتها في الطريق إلى منزلها، ثم خطرتْ لي فكرة، سأذهب معها أنا إلى قسم الشرطة القريب من ميدان محطة الرمل، ونروي لهم كل التفاصيل. كان الضابط النوبتجي متعكر المزاج، ولكن يبدو أن هذه الحالات قد أصبحتْ متكررة في الفترة الأخيرة. اضطرتْ أماني لسماع محاضرة متوقعة، ثم وضع لنا سيادة النقيب الخطة. ستنتظر أماني حتى يتصل بها النذل، ثم تحاول أن تعرض عليه نقودًا أولًا، ثم تظهر له أنها سترضخ له، وتأخذ منه موعدًا، وهناك، سيكمن له رجال الشرطة، ويتولون هم أمره. سارتْ الخطة بحذافيرها، وبعد يومين، جاءت أماني مبتهجةً،

مشرقة الوجه، ضاحكة، ترفع لنا إبهامها في سعادة. في فترة الراحة، طلبتْ مني أن أذهب معها لمحل الهواتف القريب. قال لنا صاحب المحل إن المهندس المسئول يأتي بعد صلاة العصر. ذهبنا مرة أخرى بعد انتهاء العمل، وأشار لنا صاحب المحل إلى الباشمهندس نبيل. إنه هو، شاب حديقة سعد زغلول. تذكرني مبتسمًا، ورحب بي قائلًا:

- أعلم أن جميع هذه الهواتف يجب أن نقاطعها، ولكن ما باليد حيلة، لا يوجد لها بديل وطني.

- لا، أريدك فقط أن تمسح كل الصور والفيديوهات من على هذا الجهاز، وتتأكد من عدم وجود أي طريقة لاسترجاعها مرة أخرى.

- هل هو هاتفك؟

- لا، إنه هاتف زميلتي أماني.

- ولماذا لا تتكلمين أنتِ يا أماني؟

- يبدو أنكما معرفة قديمة.

- بل معرفة حديقة.

- حديقة؟ آه..

- لا معرفة ولا يحزنون. سنذهب إلى محل آخر. الهاتف من فضلك.

- قضي الأمر. لقد انتهيتُ تقريبًا. فقط، سنضغط على هذا الزر، ثم تُمحي كل الملفات المراد التخلص منها.

- هل أنت متأكد يا باشمهندس؟

- إنها مهنتي.

- حسنًا، شكرًا جزيلًا لك. كم الحساب؟

- لا شيء. إنني لم أفعل شيئًا.

- هيا بنا يا أماني.

- انتظري قليلًا يا غادة، ألا تريدين أن تغيري جراب هاتفك؟ أو غطاء الشاشة؟

- لا. لا أريد شيئًا. لقد تأخرتُ على موعد العودة، ولا بد أنهم في المنزل يشعرون بالقلق من هذا التأخير.

- هاتفيهم وأخبريهم أنكِ معي. ألن تأخذ شيئًا مقابل عملك فعلًا يا باشمهندس؟

- لقد أخذتُ ما أريده بالفعل. المحل مفتوح لكما في أي وقت. تشرفتُ بمعرفتك يا آنسة أماني، وبمعرفتك أنتِ أيضًا يا آنسة غادة.

****

الفصل الثالث

تحت تمثال الزعيم

تعددتْ لقاءات نبيل وغادة عند تمثال سعد باشا زغلول، ما عدا يوم الجمعة، أجازته، ويوم الأحد، أجازتها. فكر نبيل في أن يذهب إليها يوم الجمعة، ولكن أمه كانت له بالمرصاد، كما أن غادة كانت تأتي أحيانًا بصحبة بعض زميلاتها، وخصوصًا أماني. كانت اللقاءات في الأغلب، لقاءات صامتة. فقط، يجلسان بجوار بعضهما البعض، يخرج نبيل شطائر (محمد أحمد)، وتخرج غادة شطائر أمها، ويدعو كل منهما الآخر أن يأخذ مما معه، عزومة مراكبية، كما يقول أهل الإسكندرية، قبل أن يبتسم كل منهما لصاحبه، ويبدآن في الأكل. يحوم حولهما سايكو منتظرًا الإشارة المعتادة من نبيل. أصبح نبيل يشرب الآن شايًا بالنعناع، بينما تشرب غادة (سبيرو سباتس). في إحدى المرات، حاولتْ غادة أن تدفع الحساب، ولكن نظرة عتاب من نبيل، مع ابتسامة وغمزة بالعين من سايكو، أوقفاها. وعندما كانت غادة تأتي مع أيٍ من زميلاتها، يجلس نبيل بالقرب منهم، ولا يحاول أن يكلمها. زالتْ الكلفة بينهما تدريجيًّا، ولكنها لم تسمح له بأي

تجاوز. هو أيضًا لم يحاول. كانتْ تشعر بأنها عادتْ إلى سنوات الجامعة، وأنها تجلس على سلالم الكلية بين المحاضرات، وحولها زملائها من الطلبة والطالبات. أما هو، فبدأ يعتاد وجودها بجواره خلال هذه الساعة، ولم يعد يذهب إلى الجامع، حتى يقضي أطول وقت ممكن معها.

انتهى فصل الصيف، وبدأ زحام المصطافين يقل تدريجيًّا، وعادتْ إسكندرية الخريف لتصبح ملكًا لأهلها، وأمطرتْ السماء رذاذًا خفيفًا، كإنذار واضح وصريح للجميع. بدأتْ الدراسة في المدارس والكليات، وبدأتْ بعض الرحلات المدرسية تأتي إلى التمثال الشهير. في أحد الأيام، كانت غادة كعادتها جالسة بجوار نبيل، بينما التفَّ بعض الطلبة حول معلمهم، يستمعون منه إلى شرح حول التمثال:

- كما قلت لكم يا أولاد، فلقد قام النحات المصري العظيم، محمود مختار، بنحت هذا التمثال من البرونز، على الطراز الفرعوني، وجعل وجه التمثال باتجاه البحر، ليكون التمثال هو أول ما يراه زعيم الأمة، سعد باشا زغلول، وهو عائد من منفاه.

- يا أستاذ، هذه المعلومة غير صحيحة. لقد تم نحت التمثال بعد مرور عشر سنوات على وفاة سعد زغلول.

- من أنتِ يا فتاة؟ ومن سمح لكِ بالكلام؟ وكيف تتدخلين فيما لا يعنيكِ؟

- أنا اسمي غادة وأنا حاصلة على درجة الليسانس في التاريخ، ويعنيني أنك تقول لهؤلاء الأولاد معلومات غير دقيقة.

- وهل أنتِ من مشرفي الحديقة، أو من المرشدين السياحيين بها؟

- لا يا أستاذ، وعلى كل حال هذه المعلومات مكتوبة على اللوحة التذكارية أسفل التمثال. يمكنك أن تقرأها إن أحببت.

- من فضلك لا تتدخلي فيما لا يعنيك. ماذا كنا نقول يا أولاد؟ نعم، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918، شكل سعد باشا زغلول ومجموعة من رفاقه وفدًا، وطلبوا من السفير الانجليزي، الحاكم الفعلي للبلاد، أن تنهي انجلترا احتلالها لمصر، ولكن السفير رفض مطالبهم، وقال لهم، من فوضكم لتتكلموا باسم الشعب المصري؟ ثم قام بنفيهم خارج البلاد، فقام الشعب بعمل توكيلات لسعد زغلول، ليفوضه في التحدث باسم الشعب المصري، وقامت ثورة 1919، وكانت أول مطالبها هو عودة سعد ورفاقه من رجال الوفد من المنفى، وفعلًا، استجاب المحتل، وأفرج عن سعد ورفاقه، وصنع له مختار هذا التمثال، ليكون في استقباله.

- يا أستاذنا، تقول اللوحة الرخامية أن هذا التمثال قد نحته المثال محمود مختار، وأن الملك فاروق، قد أزاح بيده الشريفة، الستار عن التمثال عام 1937.

- يا أستاذنا، لقد دخلت على شبكة الانترنت، ومكتوب فيها أن التمثال قد نحته مختار بعد وفاة سعد زغلول بعشرة أعوام.

- اصمت يا ولد أنت وهو. صدقوني أنا، هل يعقل أن يتم نحت تمثال لزعيم مات من عشر سنوات؟ ولماذا ينظر التمثال إلى البحر؟ أنتِ السبب يا آنسة في هذه الفوضى. هيا يا أبنائي، فلقد تأخرنا عن موعد العودة.

التف الأولاد حول معلمهم، بينما ابتسم أحدهم وهو يشير لغادة بإبهامه إعجابًا. ابتسمتْ له غادة وهي تصنع له بيديها علامة قلب. لمح نبيل قطرات من الدموع تترقرق بين عينيها. كانت أول مرة ينظر فيها إلى عينيها، اكتشف الآن، الآن فقط، أن عينيها سوداوين، مد يده ليمسح الدموع من تحت عينيها، ومن فوق وجنتيها. كان يخشى أن تصده غادة، ولكنها لم تفعل. عندما هدأتْ، أمسكتْ بيده، ودارتْ به حول التمثال.

- انظر، على قاعدة التمثال الشمالية، من ناحية البحر، هناك مجسم صغير لسيدة ترفع يديها بسعفات النخل، إنها ترمز إلى الدلتا، وعلى الناحية الأخرى، مجسم لسيدة أخرى، تمسك بيدها مفتاح الحياة (عنخ) عند المصريين القدماء، وهي ترمز للصعيد. مختار يريد أن يقول إن مصر كلها، الدلتا والصعيد، يؤيدان سعد. على الناحية الشرقية، توجد لوحة تمثل سعد وهو يتقدم بمطالب الشعب إلى المعتمد السامي البريطاني، ممثل الاحتلال، وحاكم مصر الفعلي. اللوحة الأخيرة على الجانب الغربي، تمثل سعد محمولًا على أعناق الجماهير.

- وما دور الملك فاروق في هذا كله؟

- لقد ولد الملك فاروق بعد ثورة 1919 بعام. لقد قامت الثورة في عهد والده، الملك فؤاد، صنيعة الإنجليز، وكان يكره سعد بشدة، وخصوصًا بعدما أحس بشعبيته الهائلة. بعد وفاة الملك فؤاد وجلوس ابنه فاروق على العرش، أراد الملك الشاب أن يتقرب إلى الشعب، وكان سعد زغلول قد مات منذ سنوات، وأطلقت حكومة الوفد في هذا الوقت دعوة للمصريين للمساهمة في بناء التمثال، وقرر فاروق أن يبدأ عهده بسياسة جديدة، فحضر حفل إزاحة الستار عن التمثال.

- لم أكن أعرف أنكِ حاصلة على الليسانس في التاريخ.

- وما الفائدة؟ بعد أربع سنوات من الدراسة الجامعية، وانتهى بي الحال إلى أن أقف بائعة في محل. إنني حتى لم أخبر زميلاتي بأنني حاصلة على مؤهل عالٍ، حتى لا يبتعدن عني. فقط، المدام هي الوحيدة التي تعرف.

- أنا أيضًا، صاحب المحل هو الوحيد الذي يعرف.

- يعرف أنك مهندس؟

- لا، يعرف أن اسمي هو نبيل نهرو.

- اسم أبيك نهرو؟ على اسم الزعيم الهندي العظيم؟ خليفة غاندي، وصديق عبدالناصر؟

- صديق عبد الناصر، هذا هو مربط الفرس.

حكيت لها الحكاية التي اضطررتُ لأن أقصها عشرات المرات، في المدرسة، وفي الجامعة، وفي الشارع، وفي كل مصلحة حكومية، وأمام كل

مدام عفاف، وكل فرد من أفراد هذا الشعب المتنمر بطبعه، الساخر أكثر من اللازم، والذي يظن نفسه أطيب شعوب الله.

- كان جدي، والد أبي، من المغرمين بعبد الناصر، وعندما أسس عبد الناصر مع رئيس وزراء الهند، نهرو، ورئيس دولة أوروبية كانت تسمى يوغوسلافيا، اسمه تيتو، منظمة عدم الانحياز، في بداية الستينيات من القرن الماضي، في وقت كانت معظم دول العالم تنحاز فيه لأمريكا أو للاتحاد السوفيتي، قرر جدي أن يسمي أولاده على أسماء الزعماء الثلاثة، فكان اسم عمي جمال، واسم أبي نهرو، ولم يرزق الله جدي بابن ذكر ثالث. على كل حال، كان من الصعب في تلك الأيام أن يسميه تيتو. وعندما كنت صغيرًا، كنتُ أتعرض للكثير من المضايقات من زملائي الطلبة، ومن المدرسين أيضًا، وعندما كنتُ أعود إلى البيت، كنت أبكي كثيرًا، بينما يضحك أبي، ويقول لي إن ما أتعرض له، لا شيء بجوار ما تعرض هو له. عندما سألتُ أمي عن رد فعلها عندما عرفتْ أن الشخص الجالس في غرفة الصالون لخطبتها اسمه نهرو، قالتْ إنها شعرتْ بأنها ستتزوج من شخص مميز، لا يوجد مثله بين أزواج صديقاتها أو قريباتها. ثم إن اسمه سيكون مادة خصبة في أي خناقة زوجية، إنْ حاول يومًا ما أن يضايقها، كما أنَّ اسمه وحده يفرض عليه أن يفعل لها كل ما بوسعه، طيلة عمره، حتى يُكَفّر عن هذا الاسم، وحتى يرد لها جميلها، عندما وافقت على الزواج منه. رحم الله أبي، ورحم الله جدي الطيب الذي لم أره.

حكى نبيل لغادة عن أخيه، الدكتور الأديب، وعن أخته المهاجرة، ولم ينس أن يحكي لها عن أمه، ولكن بدون تفاصيل. ليس من أول مرة، هكذا كان يقول لنفسه. وجدتْ غادة الفرصة سانحة، لتحكي له هي الأخرى عن أسرتها، عن أبيها الموظف الكبير المحال على المعاش، وعن أمها الطيبة، ذات الأصول الريفية، عن عملها المؤقت، الذي تمارسه من سنتين، عن البنات في المحل، عن أماني، وبسمة، وعن المدام.

- لقد تخرجت منذ ثلاث سنوات، قضيت العام الأول بعد تخرجي أبحث عن أي عمل يتفق مع تخصصي، بلا جدوى، وقضيت العام الثاني أبحث عن عمل، أي عمل، حتى قبلت بي المدام.

- ولماذا لم تحاولي العمل بشهادتك؟ هل حاولتِ أن تعملي مرشدة سياحية؟ أو مدرسة؟ لقد كنتِ رائعة مع هؤلاء الأطفال اليوم.

- كانوا يقولون لنا في الكلية إن مصر جاءت أولًا، ثم جاء التاريخ. ولكن يبدو أن البلد لم تعد بحاجة إلى دارسي التاريخ. بالإضافة إلى ذلك، ففي كل عام، يتخرج المئات من دارسي التاريخ، وكلهم يضافون إلى الطابور، وكلهم يبحثون عن فرصة عمل. رباه، لقد تأخرت عن موعد المحل، وسأسمع ما لا أرضى من القول من المدام.

- أريد رقم هاتفك المحمول.

- لا مكالمات. محادثات على الواتس فقط.

- اتفقنا.

الفصل الرابع

شيء عم بيصير

توجه نبيل إلى محل الهواتف، متثاقلًا، منشغل الفكر، ولم يستطع أن يمارس عمله بالدقة المعهودة عنه، وكاد أن يخطئ عدة مرات، حتى أنه فكر في أن يطلب من صاحب المحل إذنًا بالانصراف مبكرًا، ولكنه فكر فيمن تنتظره بالبيت. هل غادة هي هي؟ وهل غادة من النوع الذي يعجب أمه؟ وهل ستقبل غادة بظروفه؟ هل يمكن لغادة أن تعيش مع أمه؟ هل؟ وهو؟ هل أحب غادة؟ لا ينكر أنه يستريح للقائها، ولكلامها، ولصوتها الهادئ، وأسلوبها الراقي، وملابسها البسيطة المحتشمة، ولكنها لا تشبه فتاة أحلامه. إنه لم يعرف لون عينيها إلا اليوم. ماذا عن باقي تفاصيلها؟ وماذا عنها هي؟ لقد عاش في الجامعة قصة حب عظيمة، هكذا كان يتصور، ولكن من طرف واحد، وعندما استجمع شجاعته، وصارح فتاته، كان الجواب الصاعق، (أعتبرك مثل أخي). فماذا عنكِ يا غادة؟ ماذا أمثل لكِ؟ ومن هو فارس أحلامك؟ وهل تستسيغين فعلا (سبيرو سباتس)؟ لعلك تستطيعين إذن أن تتعايشي مع أمي، أو ربما تعتادين عليها؟ وهل

ستصنعين لنا شطائر منزلية؟ نأكلها سويًّا في فترات الراحة؟ وهل آن الأوان أن أودع عم عبودة؟ وهل سأقول له اسمي؟ كاملًا؟ هل سيساعدني إبراهيم؟ وسناء؟ وزوجها؟ ولماذا تلح صورة مبرد المياه الكولدير على بالي كثيرًا هذه الأيام؟

قبل أن ترجع غادة إلى المحل، وجدت رسالة من نبيل، أول رسالة، يد تلوّح بالسلام. سجلتْ رقمه على هاتفها، ترددتْ قليلًا، هل ستسجله باسم نبيل؟ أم تسجله باسم فتاة، أي فتاة، كما تفعل زميلاتها؟ ربما وقع الهاتف بالصدفة في يد أبيها، أو أمها، إنهما لا يفهمان كثيرًا في هذه الهواتف الحديثة، وسيصعب عليهما البحث في سجل الهاتف. ولكن ماذا عن البنات في المحل؟ ماذا عن أماني؟ وبسمة؟ ستسجله باسم نبيلة، ولا داعي لنهرو. وقبل أن تصل إلى المحل، ردت التحية بمثلها. أحسَّتْ وهي تجتاز بوابة المحل، وتدس الهاتف المحمول في حقيبتها الصغيرة، بأن صوت ضربات قلبها قد أصبح مسموعًا للجميع، وتذكرتْ أنها قد قرأتْ مرة عن قصة القلب الواشي، لا تتذكر القصة بالضبط، ولكنها تتذكر أن صوت ضربات قلب البطل قد وشى بجريمته. وضعت يدها على قلبها، حتى لا يسمع أحد صوت الضربات، وتجاهلتْ الرد على أماني عندما سألتها عن سر تلون وجهها باللون الأحمر، وتشاغلتْ بترتيب الملابس ووضعها في أماكنها، وأغمضتْ عينيها وهي تتخيل ما سيكتبه لها نبيل في المساء، عندما يرجع من عمله، وما ستكتبه هي له.

لم يكتب نبيل لها شيئًا في تلك الليلة. قضتْ غادة طوال الليل تتقلب في فراشها، بجوار الهاتف، منتظرة إشعار الواتس القصير، بلا جدوى. فكرتْ أن تكتب هي أولًا، ولكن لا، يجب أن تحافظ مخلصةً على العادات الأنثوية المتوارثة منذ الأزل. يجب أن يبدأ هو. أثناء العشاء، كانت تشاهد مسلسلًا تليفزيونيًّا، وكانتْ البطلة، (عبلة كامل)، قد جاوزت الثلاثين، دون أي تجارب عاطفية، وأثناء انصراف أحد أصدقاء العائلة من منزلهم، (يوسف شعبان)، سلّم عليها، ونظر في عينيها، وقبّل يدها، فانفلتتْ هاربة، وكاد أن يغشى عليها. فكرتْ غادة، هل وصلتْ إلى هذه المرحلة من الجفاف العاطفي؟ إنها لم تكمل عامها الخامس والعشرين بعد. هل نبيل هو هو؟ أم أنه الشخص الوحيد حاليًّا في حياتها، وهي بحاجة لأن تعيش التجربة، بحاجة لأن تُحِب، وأنْ تُحَب. بحاجة لمن يرسل لها رسائلَ، كل وقت؛ قبل النوم، وفي الصباح، وأثناء اليوم. ولكن، ماذا تمثل هي بالنسبة إليه؟ ألا يجوز أن يكون كل هذا مجرد وهم؟ كل هذا؟ وما الذي حدث، أصلًا؟ تجمعهما الحديقة معًا لتناول الشطائر كل يوم، في صمت، واعترف لها باسم أبيه، ومسح دموعها بيديه، فهل هذا يكفي؟

فتحتْ غادة تطبيق الفيسبوك، بحثتْ عن نبيل نهرو، وجدتْ صفحته بسهولة، من الواضح أنه لا يدخل كثيرًا على هذا التطبيق، بعض الصور القديمة، الأدعية القرآنية، والحكم المأثورة، ثم، لا شيء، تقريبًا. لماذا لم يرسل لها أي شيء؟ لقد كان حريصًا على أن يسجل رقم هاتفها. هل

لا يجد شيئًا آخر يفعله فيما بين التدريس ظهرًا، ومحل الهواتف مساءً، فيأتي ليتسلى معها، لمدة ساعة واحدة في اليوم؟ ربما يكون لديه ما يشغله، أو مَنْ تشغله، بقية اليوم. ربما يكون غارقًا الآن في محادثات طويلة مع أخرى، ربما يرسل إليها زهورًا، وقلوبًا حمراءَ، افتراضيةً نعم، ولكنها أفضل من لا شيء.

في تلك الليلة، عاد نبيل من عمله المسائي متأخرًا. كانت أمه نائمة، ولدهشته، وجد عشاءً شهيًّا. كان جائعًا ومتعبًا، أخذ حمامًا دافئًا، وبدأ يتناول طعامه ببطء وهو يفكر في غادة. هل يفاتحها في شيء؟ هل ينتظر قليلًا، هل سيتحمل (أعتبرك مثل أخي) مرة أخرى؟ هل يخبر أمه أولًا؟ وماذا لو رفضتْ؟ لا، إنها حياته هو، وسيعيشها كما يريد، وإذا مارستْ معه وسائل الابتزاز العاطفي المألوفة، فسيفعل مثل أخيه إبراهيم، سيترك لها البيت، ويستأجر شقة صغيرة في منطقة قريبة من محطة الرمل. قد تلتهم الشقة نصف دخله، ولكنه سيجد حلًا. لقد عرض عليه بعض زملائه أن يترك المدرسة، وأن يستغل الفترة الصباحية في العمل مساعدًا لأحد أباطرة الدروس الخصوصية، مقابل عدة آلاف من الجنيهات، كل شهر. ربما يفكر جديًا في هذا الحل، ولكن عليه أن يتأكد أولًا من حقيقة مشاعر غادة تجاهه، والأهم، مشاعره هو نحوها. انتهى من طعامه بدون أن يشعر بطعمه. نظرة منه للهاتف اكتشف منها أن بطاريته قد شارفت على النفاد، أوصل الهاتف بالشاحن، ثم استلقى على فراشه، وقد غلبه تعبه، فنام.

فيما يرى النائم، تداعتْ إلى مخيلته لقطات من فيلم هاري بوتر، الساحر الصغير. كان مدرس فنون السحر الأسود قد أحضر صندوقًا كبيرًا، على شكل دولاب كبير، وطلب من تلاميذه أن يفكروا في أكثر شخص أو شيء يخيفهم، فيخرج هذا من الصندوق، عندها يلقي كل منهم تعويذته في وجه ما يخيفه، فيتغلب عليه. فجأة، تحول صندوق المخاوف إلى كولدير مياه، حاول أن يتذكر التعويذة التي كان يلقيها هاري بوتر، دون جدوى.

صحا نبيل من نومه مفزوعًا، غارقًا في عرقه، برغم البرودة النسبية للجو. نظر إلى الهاتف المحمول بجواره، كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا. لقد نام كثيرًا، ولكنه ما زال يشعر بالتعب، ربما من آثار الحلم. لا يتذكر منه شيئًا، فقط، كولدير المياه الذي تخرج منه أمه، والتعويذة التي نسيها في أهم وقت. بعد أن اغتسل وصلى، كانت أمه واقفة في المطبخ، توليه ظهرها، وتسللت رائحة طعام الإفطار إلى أنفه. ألقى عليها تحية الصباح، وشكرها على عشاء الأمس، ماذا كان؟ وجلس على المائدة الصغيرة بالصالة ينتظر الإفطار، بيض بالبسطرمة، وجبن رومي، مع قطعة من الحلاوة الطحينية. سأل أمه:

- هل بعث إبراهيم نقودًا؟

- لا، ما زال أول الشهر بعيدًا؟

- وما السر إذن في عشاء الأمس؟ وإفطار اليوم؟ هل ورثنا؟

- شيء من هذا القبيل، لقد كنتُ أخرِج الملابس الشتوية من دولابك أمس، فوجدتُ خمسين ألف جنيه بين ملابسك. لقد حنَّتْ السماء علينا، أخيرًا.

- سماء من؟ إنها نقودي، مدخراتي.

- ومنذ متى تدخر نقودك بعيدًا عني؟ لماذا لم تعطهم لي لأضمهم إلى العشرة آلاف جنيه الذين لم يزدادوا جنيهًا واحدًا منذ شهور؟

- أنا . .

- لا تتكلم. كل وأنت صامت. واستمتع بإفطارك، فلأول مرة تأكل من عرق جبينك. بل ثاني مرة، بعد عشاء الأمس.

لم يستطعْ نبيل أن يبتلع اللقمة إلا بصعوبة بالغة، وبعد أنْ شرب جرعةً كبيرة من الماء. فكر في الاتصال بأخيه إبراهيم، ولكن ماذا ينتظر منه؟

- إذن، فمجموع مدخراتي معك قد أصبح ستين ألفًا. لا تنفقي منهم شيئًا، فسوف أحتاجهم قريبًا جدًا، إن شاء الله.

- بل تسعة وخمسين ألفًا. فيم ستحتاجهم إن شاء الله؟ هل وجدتَ فتاةً قد دعتْ عليها أمها، لترضى بك؟

- نعم، وجدتها، وحافظي على النقود، فربما نجدد دهان الشقة، ونشتري غرفة نوم جديدة، وربما تلفازًا أيضًا.

- وستشتري كل هذه الأشياء من مدخراتك الهائلة؟

- سأحسبها، وإن لم تكن تكفي، فربما أؤجر شقة صغيرة، نعيش فيها، أنا ومن دعتْ أمها عليها.

ارتدى نبيل ملابسه بسرعة، وخرج من الشقة وهو يصفق بابها بقوة. كان يسمع بعض الشتائم أو الدعوات من أمه، لا يدري بالضبط. ولكنه شعر بأنه سيختنق لو ظل موجودًا بالشقة. قادته قدماه لموقف سيارات الأجرة القريب. فكر قليلًا، هل يذهب إلى المدرسة؟ ما زال الوقت مبكرًا على موعد حصصه. هل يذهب إلى حديقة سعد؟ هل يكلم غادة على الهاتف؟ لقد طلبت منه ألا يكلمها، كما أنه لا يعرف مواعيد عملها، ربما كانت مع عائلتها، وربما كانت في المحل. قرر أن يجلس على المقهى القريب، كان مظلمًا من الداخل، فاختار منضدة صغيرة خارج المقهى، وطلب كوبًا من الشاي بالنعناع. أرسل لغادة رسالة قصيرة: صباح الخير. أتاه نادل المقهى بكوب الشاي، رشف منه رشفة صغيرة، كان ساخنًا جدًا، ولم يكن النعناع طازجًا. جاءه الرد: صباح النور. أرسل لها قلوبًا حمراء كثيرة، كبيرة وصغيرة، تتحرك على الشاشة من أسفل لأعلى. رشفة أخرى، وجاءه الرد: ؟؟؟ كتب لها: هل توافقين على الزواج مني؟ لم يأتِه ردٌ حتى انتهى من شرب الشاي المر. دفع الحساب، ثم ركب إحدى سيارات النقل الجماعي المتوجهة إلى أبيس. جاءه الرد أخيرًا: سأنتظرك اليوم، عند تمثال سعد، في نفس الميعاد.

فكر نبيل، هل هذه موافقة أم رفض؟ لماذا لم تقل نعم أو لا؟ لماذا لم تقل إنها تفاجأت، أو أنها تحتاج وقتًا للتفكير. هل هي من نوع الفتيات العاطفيات؟ هل تريد منه أن يركع على ركبة واحدة، وأن يقدم لها باقة من الزهور، وهو يرجوها أن تقبل الزواج منه؟ هل هو يعرف غادة حقًا؟

****

الفصل الخامس

الصاعقة

أخيرا، وصل نبيل إلى المدرسة، توجه إلى غرفة الناظر، والذي تفاجأ بحضوره مبكرا، على غير العادة.

- هاتِ ما عندك يا بُنيّ.

- لقد قررتُ الاعتذار عن الاستمرار في التدريس معكم.

- وماذا ستفعل؟

- سأعمل مساعدًا للأستاذ بسطا عياد، صاروخ الكيمياء، لعلك تعرفه.

- أسمع عنه، يقولون إنه أحد حيتان الدروس الخصوصية.

- نعم، وهو يحتاج إلى مساعدين له، ليتابعوا تحصيل طلاب الدروس، ويراجعوا معهم حلول المسائل، ويجيبوا على أسئلتهم.

- وكم سيعطيك هذا الصاروخ.

- عشرة آلاف جنيه كل شهر، نظير ست ساعات يوميًّا، ويمكنني مضاعفتها، إذا عملت لفترتين.

- ألا يمكنك أن تبقى معنا بضعة أيام، حتى نأتي ببديل؟

- للأسف لا، فالدراسة قد بدأتْ بالفعل، وهو يحتاج المساعدين بصفة عاجلة، ولو لم أنضم إليه الآن، فسيجد أمامه عشرات المدرسين غيري.

- ألا تعرف صاروخ لغة عربية يريد مساعدًا له، بخبرة أكثر من عشرين عامًا، وبدرجة ناظر مدرسة؟

- لو وجدتُ واحدًا فسأتصل بك.

- حسنًا، يمكنك أن تمر على الأستاذ عبدالسلام، ليسوي لك حساب هذا الشهر.

- سألقي حصتي أولًا، وأودع أصدقائي الصغار، ثم الأستاذ عبدالسلام.

لم يستطعْ نبيل أن يمنع نفسه من التفكير في غادة، حتى في أثناء حصة الكيمياء. كان يفكر، هل هناك (كيمياء) ربطتْ بينه وبين غادة؟ هل تلاقتْ أرواحهما وتعارفتْ كما في الحديث الشريف؟ نظر بسرعة إلى هاتفه، لا توجد رسائل منها. أنهى حصته، وعرج على المحاسب، تناول الجنيهات القليلة، دون أن يحصيهم كعادته، ووقع بالاستلام، وأخذ منه إخلاء طرف. عندما خرج من المدرسة، كانت السماء مليئة بالغيوم السوداء. أسرع بركوب حافلة النقل الجماعي الصغيرة، ثم أخرى أكبر، وأخيرًا، محطة الرمل، ما زال التمثال يولي ظهره للمدينة المنهكة، وعندما وصل إلى هناك، دون أن يمر على عم عبودة كعادته، وجد غادة بانتظاره، وكانت تبتسم.

- لماذا لم تردي علي؟

- وهل هذه طريقة مناسبة لطلب الزواج؟ ألا تشاهد الأفلام أو المسلسلات العربية، أو حتى الأجنبية؟ ألا تقرأ روايات؟ ماذا سأقول لأبي وأمي، وللبنات في المحل، وللحطابين في الجبال، والعجائز حول المدفأة، عندما يسألونني؟ هل سأقول لهم أرسل لي رسالة على الواتس؟

- لا تقولي لهم شيئًا. قولي لهم إن الغيوم السوداء كانت تملأ السماء، وأنها كانت تمطر، وأن الجميع قد تركونا تحت رحمة السماء وذهبوا ليحتموا من المطر، قولي لهم إنني قد أتيت إليكِ مباشرة بدون أن أمر على عم عبودة، وأن سيد سايكو كان مختبئًا هو الآخر، وأنني قد أصبحت أحب (سبيرو سباتس) من أجلك.

- ما كل هذه التضحيات الرومانسية؟ بالمناسبة، لقد أحضرت لك غذاءً خفيفًا.

- قبل كل شيء، أنت تعلمين اسم أبي، عليه رحمة الله، وتعلمين أنني أعيش حاليًّا مع أمي، فهل توافقين على أن نعيش مع أمي؟ أم أنكِ تفضلين أن نسكن في شقة صغيرة، وحدنا، حتى تتحسن الأحوال إن شاء الله؟

- لماذا تصر على اجتياز المراحل المهمة بسرعة هكذا؟ سأخبر أمي أولًا، وهي ستخبر أبي، ثم نحدد لكم موعدًا، سيكون هذا بعد أن أشتري ثوبًا جديدًا، وبعد أن تأتي أم محمد لتقوم بتنظيف الشقة مع أمي، ثم تأتي أنت مع والدتك، وربما مع أخيك الدكتور أيضًا، ولتحرص على أن تكون ذقنك

حليقة، وأن تصفف شعرك بعناية، وأن تلمع حذاءك جيدًا. لا تحضر شيكولاته، أريد باقة ورد جميلة، فقط.

- ألن يسألني والدك عن الشقة؟ عن المهر؟ عن الشبكة؟

- لا أريد شبكة ولا مَهرًا. أما بالنسبة للشقة، فأنا أفضل بالتأكيد أن نسكن في شقة مستقلة، حتى ولو كانت غرفة وصالة.

- هل تعرفين أغنية محمد منير (خايف أوعدك ما أوفيش، أقولك فيه تلاقي مفيش)؟

- لا تخف. أعرف أنه (مفيش)، وإن شاء الله بجدنا واجتهادنا يكون (فيه).

أمسك نبيل بيدي غادة الاثنتين، ورفعهما ببطء إلى شفتيه، وقبلهما واحدة تلو الأخرى، قبل أن تسحب يديها بسرعة، ويتلون وجهها بحمرة الخجل، وتهرب بعينيها إلى الأرض. في هذه اللحظات، أبت السماء إلا أن تقول كلمتها، فتردد هزيم الرعد فجأة، ليقطع عليهما لحظات عمرهما، وتحولت الأمطار فجأة إلى سيول، ولم يجد نبيل وغادة سوى قاعدة تمثال الزعيم، ليحتميا بها، وخلع نبيل سترته الجلدية، وصنع منها مظلة بدائية رفعها بيديه الاثنتين فوق رأسيهما. حاولت غادة أن تهرب من الموقف، وحانت منها التفاتة إلى السماء، فرأت وميض البرق، يشق السماء، ويتجه نحوهما، مباشرةً. نظرت إلى نبيل تستنجد به، فوجدته يحدق في السماء في فزع، وتسمر الاثنان في مكانهما، بينما شعاع قوي من الضوء يغشي المكان

بكامله، فأغلق نبيل عينيه بسرعة، وشعر بأن شعيرات جسمه قد أصبحت مشحونة، وفجأة، هدأ كل شيء، وعندما فتح عينيه، كانت العاصفة قد انتهت، والمطر قد توقف، وعادت السماء إلى صفائها، بينما غادة تلتصق به بشدة، وهي تدفن رأسها في صدره، وتبكي بلا صوت.

باستثناء التمثال الرابض في عليائه، فقد شعر نبيل وغادة بأنهما قد انتقلا إلى عالم آخر. امتلأت الحديقة فجأة بمئات الأشخاص، يرتدون ثيابًا عتيقة الطراز، يضع معظمهم الطربوش على رأسه، ويضع الباقون عمامات. لم تكن معالم الحديقة هي نفسها، ولكن التمثال هو هو، وإن كان يبدو أكثر لمعانًا وإشراقًا، وكأن مختار قد انتهى من نحته لتوه.

ربت نبيل على كتف غادة، والتي كفت أخيرًا عن البكاء، كان أمامهما مباشرة ما يشبه السرادق، أو الخيمة الكبيرة، مفتوحة من جميع الجوانب، وبها عدة صفوف لرجال يجلسون على كراسي بدائية، تشبه كراسي المقهى الذي شرب فيه شايًا هذا الصباح، صفوف من الرجال المطربشين والمعممين الجلوس، ثم عشرات الصفوف غير المنظمة، لرجال من طبقات أدنى. ويجلس في الصف الأول، على كرسي فاخر، شاب صغير، وسيم الوجه، يرتدي الطربوش، وبجواره رجل ضخم، كبير السن، لم تستطع البذلة الفاخرة التي يرتديها أن تخفي أصوله المتواضعة، وعلى رصيف البحر، احتشد المئات من عامة الشعب، سمر الوجوه، ويمنعهم رجال الشرطة من التقدم إلى السرادق. وتناهى إلى أسماعهم صوت رجل يزعق في ميكروفون بدائي:

- وها قد أزاح مولانا المعظم، الملك فاروق، ملك مصر والسودان، بيده الشريفة، الستار عن تمثال سعد باشا زغلول، في الذكرى العاشرة لوفاته، وبحضور دولة رئيس الوزراء، مصطفى النحاس باشا، والوزراء، وكبار رجال الدولة، وعدد من سفراء الدول الصديقة. حفظ الله مصر، وحفظ الله الملك.

تبادل نبيل وغادة النظرات، وأمسك نبيل برأسه، ما الذي يحدث؟ هل هو يحلم؟ هل تشاركه غادة الحلم؟ نظر إلى غادة، فوجدها قد أخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها الصغيرة، والتقطتْ عدة صور للحشد الكبير، ثم التقطتْ لهما صورة (سيلفي) يظهر فيها جلالة الملك في الخلفية.

- غادة . . ماذا تفعلين؟

- إنها لحظات تاريخية. ابتسم، فلن تجد فرصة أخرى للتصوير مع الملك.

- مَلِكُ مَنْ؟ أين نحن؟

- لا يهم. اقتنص اللحظة، ثم بعد ذلك حاول أن تجد لها تفسيرًا.

- لا يوجد سوى تفسير واحد؛ إننا نهذي أنا وأنتِ. ربما كان هذا من تأثير العاصفة، ربما نتج عنها موجات كهرومغناطيسية أثرتْ على عقولنا.

- ربما، وربما تكون قد نقلتنا إلى زمن الملك.

- وكيف سنرجع إلى زمننا إن شاء الله؟

وكأنما كانت غادة في حلم جميل ثم أفاقت فجأة، فاتسعتْ عيناها في ذعر وقد استوعبتْ الموقف، وانهارتْ في لحظة واحدة نظريتها عن اقتناص اللحظة، وكاد الهاتف أن يسقط من يدها، لولا أنها أمسكتْ به في اللحظة الأخيرة، ودسته في حقيبتها. ركب الملك عربته الملكية، محييًّا الجماهير المحتشدة، وضربتْ مدفعية إحدى السفن البحرية إحدى وعشرين طلقة، تحيةً للملك الشاب، أو للزعيم الراحل، وتدافعتْ الحشود لترى الملك الجديد، ملوّحة له، وهاتفة له، فرحين، ومستبشرين، قبل أن ينصرف الجميع، وتعود الحديقة خالية إلا من التمثال السامق، ونبيل وغادة، وبعض الأطفال، والمتسكعين.

- نبيل، ماذا سنفعل؟

- لا شيء. فلنجلس في مكاننا، فربما تأتي صاعقة أخرى فتعيدنا إلى زماننا.

- السماء تبدو صافية بشكل غير طبيعي.

- وماذا تريدين مني أن أفعل؟

- فكَّر.

- واضح أننا جئنا بطريقة ما إلى هذا الزمن، عام **1937**. لا توجد طريقة معروفة للعودة إلى زماننا. يجب أن نتعايش لبعض الوقت مع هذا العصر. يجب أن نجد مكانًا لننام فيه، ويجب أن يكون معنا نقودٌ من نقود هذا

العصر. يجب أن نحافظ على هواتفنا المحمولة، وألا نستهلك بطاريتها فيما لا يفيد. يجب أن نخفي عن الجميع حقيقة أننا من عصر آخر، مستقبلي. يجب أن نرتدي ملابس شبيهة لهم، أو أن ندعي أننا أجانب، أو على الأقل، مهجنون. وقبل كل ذلك يجب أن نتزوج، وفورًا.

****

الفصل السادس

في زمن آخر

كانت كل هذه الأشياء تحتاج إلى نقود. اقترحت غادة أن تبيع بعضًا من حليها الذهبي. كان هذا هو الحل الوحيد. تحرك الاثنان باتجاه شارع فرنسا، حيث توجد محلات الصاغة، على أمل أن يكون المكان كما هو. لم يكن هناك أي أثر لميدان الجندي المجهول بالمنشية، وبدلًا منه، وجدا لافتة كبيرة تشير إلى أنهما الآن في ميدان محمد علي، وبين قوسين، ميدان القناصل. تحركا باتجاه تمثال محمد على، كان التمثال يصور الباشا ممتطيًّا جواده، ويرتكز فوق قاعدة رخامية عالية. في نهاية الشارع الواسع، انحرفا يمينًا باتجاه سوق الصاغة. كانت معظم المحلات بأسماء الأجانب، ووجدا محلًا باسم السرجاني. عندما عرضتْ غادة على البائع سوارها الذهبي، قال لها الرجل إن هذا شغل أفرنجي، يمكنها أن تبيعه في المحلات المجاورة. في محلات جوزيف إخوان، أعطاهما الرجل أربعين جنيهات وبضعة قروش. همست غادة لنبيل أن السوار يتجاوز سعره أربعين ألف جنيه. تأمل نبيل في الجنيهات الورقية، كان الجنيه ذا حجمٍ كبير، وكان صادرًا من البنك

الأهلي المصري، ولم تكن عليه صورة الملك، بل كان مرسومًا عليه جملان، أحدهما قائم، والآخر بارك.

سأل نبيل أحد الباعة المصريين عن مكان مأذون الحيّ، فوصف له المكان، وكان يبعد عنهم خطوات. سأله البائع إن كان يحتاج شهودًا، فهز نبيل رأسه أن نعم. نادى البائع أحد زملائه، وتوجهوا جميعًا إلى المأذون. كان المأذون يسكن في شقة صغيرة بالدور الأرضي بإحدى العمارات القديمة، ويستغل صالة الشقة كمكانٍ لكتابة عقود الزواج. بعد المباركات، سأل المأذون:

- أين وليّ العروس؟

- سأزوج نفسي يا مولانا.

- يا بنيتي، يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: «لا نكاح إلا بوليّ»، ويقول أيضًا «أيما امرأة نُكِحَتْ بغير إذن وليّها، فنكاحها باطل».

- أنا لست قاصرة يا مولانا، فأنا قد بلغت الخامسة والعشرين من عمري، ويمكنني أن أزوج نفسي بحسب مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان.

فتحتْ غادة حقيبتها، وأخرجت بطاقة الرقم القومي، وهمَّتْ بأن تريها للمأذون، ليتأكد من كلامها، لولا أن أمسك نبيل يدها في اللحظة الأخيرة، وهو يوجه حديثه للمأذون:

- نحن غرباء يا مولانا، وفرضتْ علينا الظروف أن نعيش هنا فترة ما، ونريد أن يغلق علينا بابنا بشكلٍ شرعي، سنعقد الآن فقط، أما الدخول إن شاء الله، فسوف يكون بعد رجوعنا إلى عصر.. أقصد إلى أهلنا.

- توكلنا على الله. اسمكَ واسمُ أبيك، وأنتِ أيضًا يا بنيتي.

"إنه في يوم الجمعة، الموافق التاسع عشر من جمادى الآخرة، عام 1356 هجريًّا، وعلى يد مأذون عقد الزواج بجهة سوق الصاغة، التابع لقسم المنشية، صار عقد زواج البكر الرشيد غادة بنت أحمد إسماعيل، على السيد نبيل ابن نهرو عبدالحميد، وتم هذا العقد على صداقٍ عاجله جنيه مصري واحد، وآجله جنيه مصري واحد، وقد أقرتْ العروس بقبض عاجل الصداق المذكور لدينا بمجلس العقد، وجرى العقد بينهما بالصيغة الشرعية، من الإيجاب والقبول، وبشهادة شاهدين، والله خير الشاهدين، وقد تحرر من هذا العقد نسختان، بيد كل طرف نسخة، بارك الله لكما وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير".

أعطى نبيل ورقتي الزواج لغادة، وأعطاها جنيهًا من الجنيهات الأربعين، وأعطى المأذون أجر تحرير العقد، ورفض الشاهدان أخذ أي نقود، وعندما طلب أحدهما من العروس أن تطلق زغرودة، ابتسمتْ غادة وقالتْ إنها لا تعرف، فتطوع الشاهد، وأطلق زغرودة رجالية قصيرة، ونادى المأذون على إحدى بناته لتأتي بشربات الورد.

- ألا يوجد بالقرب من هنا فندق رخيص؟

- إن ميدان القناصل يمتلئ بالفنادق الصغيرة التي يديرها الأجانب، وهي تتميز بالنظافة والسعر المعتدل.

- إن كانت إقامتكما ستطول هنا، فيمكنني أن أدلكما على شقة مفروشة للإيجار.

- إن شاء الله لن يطول بنا المقام هنا. جزاكم الله خيرًا.

أشار عليهما أحد الرجلين بالسكن في بنسيون مدام ماريكا، البناية المواجهة لتمثال الباشا، الدور الثاني. رجعا مرة أخرى من نفس الطريق الذي جاءا منه. في الطريق، اشتريا بعض المخبوزات وكمية من الفاكهة. كان باب البنسيون مغلقًا، وعليه لافتة صغيرة. فتحتْ لهما الباب سيدة أربعينية، محتفظة بجمالها القديم، وترتدي ثوبا منزليّا بسيطًا. دخلا إلى الصالة، كان هناك أحد الكهول الأجانب جالسًا على مقعد وثير، ويطالع جريدة أجنبية. قالت لهما مدام ماريكا إن لديها غرفتان خاليتان، واحدة كبيرة نسبيًّا وأخرى صغيرة. عندما عرفت مدام ماريكا أن هذه هي ليلتهما الأولى كزوجين، أعطتهما الغرفة الكبيرة ذات الحمام الخاص، والتي تطل على الحديقة مباشرةً، بعيدًا عن ضجيج الميدان. أبدتْ تعجبها لعدم وجود حقائب معهما، واستغربتْ أكثر عندما وجدت غادة لا ترتدي فستان الفرح. دفع لها نبيل أجرة يومين مقدمًا، وقالت لهما مدام ماريكا إنها ستجهز لهما في الصباح إفطارًا شهيًّا، هدية مجانية منها للعروسين.

طلبتْ مدام ماريكا من غادة أن تلحق بها في غرفتها الخاصة، نظرتْ غادة لنبيل، فهز رأسه موافقًا. كانتْ غرفة مدام ماريكا على الطراز الأوروبي، صغيرة، ومرتبة، ويفوح منها عطر أخاذ. بحثتْ مدام ماريكا قليلًا في الصوان، ثم أخرجت قميصًا منزليًّا وناولته لغادة. قالتْ لها إنها لا تتدخل عادة في شئون النزلاء، ولكنَّ غادة ذكرتْها بنفسها، عندما هربتْ مِنْ بيت أهلها في اليونان، قبل الحرب العظمى، منذ ما يقرب من خمسة وعشرين عامًا، لتتزوج من حبيبها الشاب، الجندي الذي كان يخدم في جيش الامبراطورية في مصر، ومات فيها بعد عدة أشهر. أعطتها زجاجة عطر صغيرة، وتمنتْ لها ليلة سعيدة، وأشاحتْ بوجهها، وهي تغالب دموعها الحبيسة. ربتتْ غادة على كتف ماريكا، وعندما خرجتْ من الغرفة، وجدتْ نبيل بانتظارها. دخلا غرفتهما، وخلع نبيل سترته الجلدية، وحذاءه وجوربه، ودخل إلى الحمام، اغتسل وتوضأ، وسأل غادة:

- أعتقد أنه يجوز لنا أن نصلي قصرًا، فنحن على سفر.

- نعم. لكنه سفر في الزمن.

- لم نسأل مدام ماريكا عن اتجاه القبلة.

- أعتقد أنها لم تتغير. اعطِ ظهرك للبحر، واتجه نحو اليسار قليلًا.

فكرتْ غادة، هل ترتدي قميص مدام ماريكا المنزلي؟ وما هي خطط نبيل بالنسبة لها؟ هل تزوجا فعلًا؟ إن عقد الزواج في حقيبتها، حرره مأذون شرعي، ووقع عليه شاهدان، وقبضتْ أمامهم الجنيه أبو

جملين، وفي يدها القميص، وفي اليد الأخرى زجاجة العطر، ونبيل جالس للتشهد الأخير. أحست أنها جائعة جدًا، وتذكرت الشطائر في حقيبتها. هل ما زالت صالحة؟ أم أنها فسدتْ أثناء الرحلة الزمنية؟

- اطمئني. نحن زوجان أمام الله وأمام الناس. على الأقل ناس هذا العصر. سننام معًا، على هذا الفراش، ولكن لن يحدث بيننا شيء، على الأقل ليس الليلة. يجب أن نعرف أولًا ما سنفعله، وكيف نستطيع أن نعود إلى زماننا.

- وهل يجب أن نعود؟ لطالما كنت أحلم بأن أعيش في هذا العصر، عصر الأميرات والهوانم، عصر إسكندرية المليئة بالأجانب، والشوارع النظيفة، الواسعة، شبه الخالية، والحدائق في كل مكان.

- وماذا عن جذورنا؟ أهلنا؟ أعمالنا؟ حياتنا هناك؟

- وهل أنت متمسك بحياتك هذه؟ والدتك المتسلطة، إخوتك الناجون بأنفسهم، تلاميذك البؤساء، هل أنت راضٍ عن حياة المهندس النووي الذي يصلح الهواتف المحمولة، وغذاؤه اليومي هو شطائر الفول والطعمية وكوب الشاي بالنعناع؟

- وماذا سنفعل هنا؟ أنا وأنتِ؟ لا تنسي أننا نعيش الآن من نقود بيع سوارك الذهبي، وأن هذه النقود ستكفينا لأسبوعين أو ثلاثة على الأكثر.

- يمكنك أن تعمل مدرسًا، ويمكننا أن نترك هذا البنسيون، وأن نستأجر شقة صغيرة، كما كنا نخطط عصر اليوم، قبل أن نأتي إلى هنا.

- ولكنك هكذا لن تصبحي أميرة، ولا حتى وصيفة. الأميرات يولدن أميرات. أما أنتِ، فستجلسين في شقتك الصغيرة، تجهزين طعام الغذاء، وتنتظرين سي السيد نبيل عندما يأتي من عمله، ولا تنسي أن تجهزي لي طست الماء الدافئ بالملح، لأضع فيه قدمي المتعبتين، وأنا أحضر معي الجريدة اليومية، غالبًا الأهرام، والبطيخة. أعتقد أنه لا توجد ثلاجات في هذا العصر، ولا غسالات. ربما كان هذا البنسيون من الأماكن القليلة التي يوجد بها كهرباء، باعتباره في حي القناصل. لا يوجد تلفاز، ولا هاتف محمول، ولا إنترنت، إذا كان لدينا راديو، فسوف نكون من القلائل المحظوظين.

- حسنا، قل لي كيف سنرجع إلى عصرنا؟

- لا أعرف. دعينا ننام الآن، ربما يكون كل هذا مجرد حلم. ربما أصحو على وجه والدتي وهي ترفع الستائر في غرفتي، وتفتح النافذة، وتفتش ملابسي، وتلقي عليّ تحية الصباح الخاصة بها، ربما.

****

الفصل السابع

اليوم الأول

في الصباح التالي، جهزتْ مدام ماريكا إفطار العروسين؛ وضعتْ الأطباق على صينية كبيرة، وغطتها، ولم تنس أن تضع على طرف الصينية جريدة الصباح، مع بطاقة تهنئة للعروسين، وملحوظة، أن المشروبات الساخنة، الشاي والقهوة، متوفرة بالمطبخ. وضعتْ الصينية أمام باب الغرفة، وطرقتْ الباب ثلاث مرات، بهدوء، ثم انصرفتْ. كان نبيل مستيقظًا، في الواقع، هو لم يذق طعم النوم إلا على فترات قصيرة متقطعة. كان منشغلًا بالتفكير في هذا الموقف العصيب، وإحساسه بالمسئولية عن هذه الطفلة التي نامتْ بجواره، بملابسها، ولكنها ما لبثت أن التصقتْ به، ولم تهدأ تمامًا إلا عندما احتواها بذراعه. عليه أن يفكر في خطتين: الخطة الأساسية، وهي كيف يرجعون لعصرهم في أسرع وقت، والخطة البديلة، إذا كتب عليهم أن يصبحوا سجناء هذا العصر، إلى الأبد. انسل نبيل من الفراش ببطء، وألقى نظرة سريعة على غادة، كانتْ مستغرقة في النوم، وابتسامة

صغيرة ترتسم على وجهها الجميل، يبدو أنها تحلم بأنها أصبحت أميرة. كان شعرها الأسود الناعم ينسدل حول وجهها، وكانت أول مرة يرى شعرها.

تركها نائمة، وأمسك بالجريدة، كانتْ الأهرام فعلًا، ولكنها من أربع صفحات فقط. كان المانشيت الرئيس يتحدث عن الملك الشاب فاروق، المتوج ملكًا على مصر منذ أيام، وقبل أن يتم عامه الثامن عشر، وإزاحة الستار عن تمثال سعد زغلول، ثم مجموعة من الأخبار العالمية؛ خبر عن التصريحات النارية لهتلر، زعيم الحزب النازي الألماني، وخبر ثانٍ عن احتلال اليابان لأجزاء كبيرة من الصين، وخبر ثالث عن الحرب الأهلية الأسبانية، وخبر رابع عن قيام ستالين، زعيم الحزب الشيوعي السوفييتي، بإعدام أكثر من مائة ألف شخص من معارضيه، وأخيرًا، رأيْ الأهرام، أن انجلترا وفرنسا وأمريكا متفقون على أن الخطر الأكبر هو الاتحاد السوفييتي، وأنهم يهادنون هتلر، لعله يحارب السوفييت، فينوب عن أمريكا وأوروبا في دحر الشيوعية. أما زلتِ يا غادة تودين البقاء في هذا العصر؟

في الصفحات الداخلية، تأبين للأديب مصطفى صادق الرافعي، ومقالات عنه بأقلام طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ومي زيادة، وإعلان عن فيلم (سلامة في خير) من بطولة نجيب الريحاني، وخبر عن تصوير المطرب محمد عبد الوهاب والمطربة ليلى مراد لفيلم (يحيا الحب). مقال للعقاد، الوفدي العتيد، يهاجم فيه رئيس الوفد ورئيس الوزراء

وزعيم الأمة، مصطفى النحاس باشا، الذي تزوج منذ ثلاث سنوات، وهو في سن الخامسة والخمسين، من زينب هانم الوكيل، ذات الاثنين وعشرين ربيعًا، وأن خليفة سعد زغلول، قد صار ألعوبةً في يد زوجته الشابة. على الصفحة الأخيرة، مناظرة بين عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول، الدكتور علي مصطفى مشرفة، وبين عميد الأدب العربي، الدكتور طه حسين، حول أيهما أنفع للمجتمع، العلوم أم الآداب. مشرفة؟ لقد درسنا في الكلية أنه واحد من العلماء القلائل في العالم الذين فهموا نظرية النسبية لأينشتاين، بل إنه هو الذي وضع الإثبات الرياضي لها. النظرية النسبية التي تتحدث عن الزمن كبعد رابع للمادة، وأننا يمكن أن نسافر عبر الزمن. مشرفة؟ هل يمكن أن . . ؟

أمسك نبيل بالجريدة، وتوجه إلى النائمة الهانئة، فربتَّ على وجنتيها، حتى فتحتْ عينيها. لوح بالجريدة أمامها، وهو يقول:

- استيقظي أيتها الكسولة. ثمة أمل.

- ألا تقول صباح الخير أولًا؟

- صباح الخير يا عروسة. هيا تناولي إفطار صديقتك اليونانية، ولنفكر معًا كيف نصل لهذا الرجل؟

- طه حسين؟ لقد مات منذ أكثر من خمسين عامًا.

- الرجل الآخر، الدكتور مشرفة، ثم لا تنسي أننا نعيش في عصرهم.

احتاجتْ غادة بعض الوقت، حتى تتخلص تمامًا من أحلام الأمس، وتدرك الواقع الجديد الذي تعيشه مع نبيل. بعد الإفطار، قام نبيل بالتوجه لمطبخ البنسيون، لوضع الصينية والأطباق الفارغة. في الصالة، كاد أن يصطدم بمدام ماريكا، والتي تناولتْ منه الصينية بابتسامة. شكرها على الإفطار الشهي، وأكمل طريقه إلى المطبخ، ليعد لنفسه كوبًا من الشاي.

لم يستطع نبيل أن يتقبل فكرة الاستسلام لوضعه الجديد، وجاءتْ فكرة الذهاب إلى أينشتاين العرب، الدكتور مشرفة، كبارقة أمل، عليه أن يتمسك بها إلى آخر مدى. لم تتحمس غادة كثيرًا لفكرة البحث عن الدكتور مشرفة، وعرض المشكلة عليه، لعله يجد لهما حلًا. كانتْ ترى أن أهم شيء الآن هو شراء ملابس مناسبة، للخروج وللبيت، ومحاولة البحث عن عمل، والاندماج أكثر في هذا المجتمع الجديد. كانتْ ترى أن الله هو الذي قذف بهم إلى هذا العصر، وإذا شاء أن يرجعهم إلى عصرهم، فسيفعل هذا، ببساطة، كما جاء بهم. لم تكن مقتنعة بفكرة آلة الزمن أو أية حلول علمية مشابهة. لو كانوا يستطيعون، لكان كل إنسان قادرًا على أن يختار الزمن الذي يعيش فيه، في الماضي أو المستقبل. أصرت غادة على أن يؤجلا أي تفكير في الخطوة القادمة، وأن يستمتعا بيومهما الأول، معًا، مهما كانت الظروف. كانت ملابسهما غير مهندمة، نتيجة النوم بهما، ومع ذلك، حاولا تسويتها بقدر الإمكان، وقررا الخروج للسير على كورنيش البحر. كان الوقت قد قارب الظهر، والشمس ترسل أشعتها القوية على الجميع. اشترتْ

غادة قبعة نسائية وارتدتها على الفور، فأصبحتْ تشبه، مع ملابسها العصرية، البنات الأجنبيات، والمصريات اللاتي بدأن في تقليدهن. كان الكورنيش شبه خالٍ في هذا الوقت، وبعض المصطافين يستمتعون ببحر الإسكندرية الجميل في أواخر أغسطس، وأحس نبيل بالتعب، وندم على أنه لم يشتري لنفسه قبعة هو الآخر. وجد عربة حنطور تقف بإزاء الكورنيش، تنتظر زبائنها، فاقترح على غادة أن يكملا جولتهما ركوبًا، فرحبت على الفور. طلب نبيل من السائق أن يأخذهما في جولة حتى قصر رأس التين، ثم العودة، على أن يتمهل، فهما يريدان أن يستمتعا بمنظر البحر، وبالهواء المنعش، المشبع برائحة اليود. كانت أمامهما عربة رش المياه، تنثر رذاذ المياه لترطيب الجو وتنظيف الشوارع، وطلبتْ غادة أن تجلس بجوار السائق، وأن تمسك بيدها مقود الحصان، وأن يلتقط لها نبيل صورة بكاميرا الهاتف المحمول، وعندما رفض خوفًا من أن يشك أحدهم في الأمر، قالت له أن يتعامل كأنها كاميرا عادية. مرة أخري يشعر نبيل أنه قد تزوج طفلة، ولكنها طفلة كبيرة، مرحة، سعيدة، برغم كل شيء.

اعترف نبيل لنفسه في نهاية الجولة بأنه قد استمتع حقًّا. شعر براحة نفسية غريبة، وأحس بأنه يتحد مع الطبيعة البكر، البحر، والسماء، والحصان الجميل، والطفلة الهانئة. منذ زمن، وحياته تسير على وتيرة واحدة، من البيت الضيق إلى المدرسة البائسة، وسيارات الأجرة الجماعية الخانقة، شطائر عم عبودة، مشروبات سايكو، والهواتف المحمولة من كل

الأنواع، ثم غدا يوم مكرر، له ذات التفاصيل. اليوم، كان كل شيء مختلفًا، والأهم، هو السلام النفسي الذي بدأ يتسلل إلى روحه. تساءل، هل هي خطة من هذه الطفلة الشقية، لتجعله يحب الحياة في هذا العصر؟ لا، يجب أن يقاوم هذا الشعور اللذيذ. مشرفة، يجب ألا ينسى أن هناك عالم عبقري في القاهرة، قد يمنحهما مفتاح العودة.

في ميدان القناصل، ترجل الاثنان من عربة الحنطور، واتخذا طريقهما إلى البنسيون، سيرًا على الأقدام. توقفتْ غادة عند واجهات محلات الملابس التي تعرض أحدث صيحات الموضة لعام **1937**، معظم المحلات لها أسماء أوروبية، أو يهودية؛ هانو وشيكوريل وصيدناوي وبنزايون وعدس وشملا وريفولي وبونتريمولي. حتى الأسعار، كانت مكتوبة بالإنجليزية أو الفرنسية. في النهاية، دخلا محل هانو، واشترتْ غادة لنفسها بعض الملابس، وأصرتْ على أن تشتري هدية بسيطة لمدام ماريكا. أما نبيل، فقد اكتفى بأن اشترى لنفسه منامة منزلية، وطقم ملابس داخلية. لم ينس أن هذه النقود التي ينفقونها هي نقود غادة في الأساس، وإن كان قد عقد النية على أن يشتري لها سوارًا آخرَ عندما يرجعون إلى عصرهم، إن قدر لهما الرجوع. كان التعب قد غلبهم، والجوع أيضًا، تركا الملابس في محل هانو، وأرشدهما أحد العاملين إلى مطعم سانتا لوتشيا القريب. كان المطعم على الطراز الأوروبي، وقد علقتْ على جدرانه مستنسخات لبعض اللوحات العالمية. قدم النادل نفسه لهما باسم الخواجة ماريو، وعرض عليهما قائمة

الطعام، والتي لم يفهم نبيل معظمها، فانتظره حتى انتهى من ثرثرته، وطلب طبق من لحم الموزة البقري الطري، مع الأرز بالصلصة، وطاجن من الخضراوات، أما غادة، فطلبت سمك مخلي، مع بعض حبات الجمبري، وطبق من السلطة. في طريق العودة، بدأ نبيل يتحسس النقود الباقية معه. صداق غادة، المأذون، الفاكهة والمخبوزات، أجرة البنسيون، قبعة غادة، عربة الحنطور، هانو، والمطعم. يجب أن يقتصد تمامًا في المبلغ المتبقي معه، فبعد كل هذا، هو لم يبدأ بعد في خطته الرئيسية، مشرفة.

****

الفصل الثامن

إلى القاهرة

عندما وصل نبيل وغادة إلى غرفتهما بالبنسيون، كان أول ما فعله نبيل هو أن أخذ حمامًا منعشًا، وارتدى منامته الجديدة، صلى الظهر والعصر قصرًا، ثم ارتمى على الفراش. كانت غادة في هذه الأثناء ترتب ملابسها الجديدة في صوان الملابس، واحتفظت بهدية مدام ماريكا لتعطيها لها في المساء. عندما كانت تسأل نبيل عن برنامج الغد، لم تتلق ردًّا، كان قد استغرق في النوم. أخذت غادة حمامًا هي الأخرى، وارتدتْ ثيابها المنزلية الجديدة. شعرتْ بالراحة مع ملمس ملابسها القطنية، وتوجهْت نحو الفراش. كان زوجها؟ يغط في النوم، مسحتْ على شعره في حنان، وقبلتْ جبينه، ثم يده، وأخيرًا، أخذت مكانها بجواره. لم يأتها النوم سريعًا. بالأمس، كانتْ مذعورة، فعلًا. كانت تخشى من كل شيء، ومن كل أحد، حتى عندما قال لها أن تطمئن، وأن شيئًا لن يحدث بينهما، على الأقل في الليلة الأولى، ومع أنها كانت معتادة على أن تنام وحدها، في فراشها، في غرفتها، ولكنها كانت مطمئنة دائمًا أن أبويها في الغرفة المجاورة. أما بالأمس، فإن العالم

الخارجي كله كان باعثًا على الخوف، برغم الصاغة، والشهود، والمأذون، وباعة المخبوزات والفاكهة، ومدام ماريكا. هل هو إلف المكان والزمان؟ ربما، لقد تصنعت النوم بالأمس، حتى تداري خجلها، وهي تزحزح نفسها ببطء، لتلتصق بنبيل، ثم، عندما احتواها بذراعه، اطمأنتْ، فعلًا.

عندما استيقظتْ غادة، كانتْ الغرفة غارقةً في الظلام، ونبيل ما زال نائمًا. ارتدتْ ملابسها الجديدة، على الأضواء التي تتسلل إليهم من النافذة نصف المفتوحة. خرجتْ من الغرفة بهدوء، متجهةً نحو غرفة مدام ماريكا. طرقتْ باب غرفتها، وانتظرتْ قليلًا حتى فتحتْ ماريكا الباب. أعطتها هديتها، وقميصها المنزلي الذي لم ترتديه، وزجاجة العطر، وشكرتها على حسن الاستقبال. أخبرتها غادة أنهما سيسافران صباح اليوم التالي إلى القاهرة، حتى ينجز زوجها بعض الأعمال الضرورية. قبلتها مدام ماريكا، وأخذتْ منها الهدية، وطلبتْ منها أن تحتفظ بالقميص والعطر، على سبيل التذكار. عندما عادتْ غادة إلى غرفتها، كان نبيل فد استيقظ، وأضاء النور في الغرفة، وجلس على أحد المقاعد الوثيرة في ركن الغرفة، يقرأ أهرام الأمس، وأمامه النقود المتبقية.

جلستْ غادة بجواره، فأشار لها على مواعيد القطارات. كان أول قطار يتحرك في الثامنة صباحًا من محطة الإسكندرية، ويتوقف بدمنهور، ثم طنطا، ثم بنها، وأخيرا محطة باب الحديد بالقاهرة.

- لا أعرف سرعة القطارات في هذا العصر، ولكن يفترض أن نصل ظهرًا، ثم نتوجه إلى كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول، ونقابل الدكتور مشرفة. ربما لن نعود إلى هنا ثانية، وإذا عدنا، فإن النقود المتبقية معنا بعد رحلة القاهرة، لن تمكننا من البقاء في البنسيون. غالبًا سنستأجر شقة صغيرة، ونبدأ رحلة البحث عن عمل. لا أتمنى هذا، ولكنها الخطة البديلة.

- لقد توقعتُ هذا، وقمتُ بتوديع مدام ماريكا.

- علينا أن نقوم بضبط هواتفنا المحمولة لتوقظنا في موعد مناسب. سيكون من حسن حظنا أن نجد عربة حنطور صباحًا لتقلنا إلى محطة القطار. القطار التالي يتحرك في العاشرة صباحًا، ويقف بالعديد من المحطات، وإذا ركبناه، فغالبًا ما سنصل بعد أن يكون قد انصرف كل من في الجامعة، وسنضطر لقضاء الليلة في القاهرة. مواردنا المالية تنفد سريعًا، وعلينا تدبير أمورنا بحكمة.

- ألا يمكننا أن نخرج الآن، ونسير قليلًا على الكورنيش؟

كان الجو لطيفًا، وحملتْ رياح البحر نسيمها العليل، سارا متشابكي الأيدي، وفجأة، وقفتْ غادة، ونظرت لنبيل، وهي تقول له بغضب:

- لقد خدعتني. أين خاتم الزواج؟

كان نبيل قد بدأ يفهم غادة. شبك أصابعه في أصابعها مرة أخرى، وانطلقا يستكملان جولتهما الوداعية. اشترى لها ذرة مشوية، وتين شوكي،

وجلسا في حديقة سعد، بحث بعينيه عن سيد سايكو، أو ربما أحد أجداده، عندما كان في مثل سنه. وجد فتىً آخرَ، أسمرَ، لا يشبه سايكو، سأله عما عنده من المشروبات المثلجة، فأجابه الفتى بأن أفضل شيء هو (كازوزة سباتس)، ماركة (الدبانة). جاء له الفتى بزجاجتين، هما هما، أكبر في الحجم قليلًا، وطعمهما أفضل قليلًا. ضحكتْ غادة، وهي تخبره أن سباتس هذا خواجة يوناني، أتى إلى مصر شابًا، وأسس بها مصنع الغازوزة أو المياه الغازية، ووضع عليها النحلة، شعار أسرته التي كانت تمتلك مناحل لعسل النحل، ولكن المصريين الطيبين، أطلقوا عليها الكازوزة بدلا من الغازوزة، وأطلقوا على النحلة (دبانة). بعد كل شيء، كان طعم مشروب الخواجة سباتس الوطني رائعًا.

عادا إلى البنسيون، وفي الطريق، اشترى نبيل حقيبة ليضعا فيها ملابسهما. فتحتْ لهما مدام ماريكا الباب وهي تغالب النعاس، وقالت لهما مبتسمة إنها ستسامحهما على هذا التأخير، فقط لأنهما عروسين.

انطلق منبه الهاتف في السادسة صباحًا، وبعد نصف ساعة كانا على باب البنسيون. من المطبخ، نادتْ مدام ماريكا على غادة، وأعطتها بعض الشطائر لزوم الإفطار. تعانقتا، ولوحتْ ماريكا لنبيل من بعيد. وجدا عربة حنطور بجوار تمثال محمد علي، واتخذت العربة طريقها إلى محطة القطار، فوصلتها بعد دقائق. كانت الحركة قد بدأت تنشط في المحطة، وقام نبيل بحجز تذكرتين بالدرجة الأولى. كان القطار واسعًا من الداخل، حتى أن

نبيل، وقد تحركت فيه حاسة المهندس، قد تساءل، هل المسافة بين قضيبي السكة الحديد كانتْ أكبر في الماضي؟ أم أن تصميم العربات كان أوسع؟ كانت الكراسي مريحة، ومغطاة بالجلد، وأرضية القطار نظيفة، وعلى النوافذ ستائر مسدلة. في الثامنة تمامًا، ومع دقات ساعة المحطة، وجرس الانطلاق، تحرك القطار في موعده تمامًا. كان تصميم العربة من الداخل مختلفًا عن عرباتنا، هكذا فكر نبيل، كان هناك ممر طويل، بطول العربة، وتتفرع منه مقصورات جانبية، بكل مقصورة أريكتين متقابلتين، جلس هو وغادة على أريكة، ولم يكن معهما أحد. مع بطء حركة القطار، واهتزازه، ومنظر المزروعات الخضراء الذي لا يتغير من النافذة، وقبل أن يصل القطار إلى دمنهور، نامتْ غادة، وأسندتْ رأسها الصغير على كتف نبيل.

جاء مفتش القطار، فأبرز له نبيل التذاكر، ثم ظهر ولد صغير يبيع الجرائد، واختار نبيل هذه المرة مجلة اللطائف المصورة. على الصفحة الأولى، صورة لملكة مصر القادمة، صافيناز ذو الفقار، الشهيرة بالملكة فريدة. كان الملك فؤاد، والد فاروق، مغرمًا بحرف الفاء، أول حرف من اسمه، واختار لابنه اسما يبدأ بذات الحرف، وكذلك لبناته الخمس، فوزية وفايزة وفتحية وفوقية وفائقة، ونقش حرف F على واجهات جميع القصور الملكية، وبالتالي، فكان لا بد أن تتحول صافيناز إلى فريدة. في الصفحة الثانية، خبر عن إعلان محافظ المنيا الحرب على العقارب، بعد أن أودت بحياة أربعين

مواطنًا في شهور الصيف، وأن المحافظ قد رصد مكافآت سخية لمن يصطاد عقربًا أو يقتله من الأهالي، وصورة لبعض الأهالي ومعهم (فوانيس)، وبداخلها العقارب التي اصطادوها. في الصفحة الثالثة، صورة للأديبة اللبنانية، مي زيادة، جالسةً في صالونها الأدبي الشهير، ومن حولها رئيس جامعة فؤاد الأول؛ أحمد لطفي السيد، والشيخ الأزهري مصطفى عبد الرازق، وأمير جبل لبنان؛ مصطفى الشهابي، وصاحب مجلة الجيل الجديد؛ سلامة موسى، وشاعر القطرين؛ خليل مطران، ورئيس تحرير الأهرام؛ أنطون الجميل، والشاعر إبراهيم المازني، والأستاذ عباس محمود العقاد، والدكتور طه حسين، والشاعر عبد الرحمن شكري، والدكاترة زكي مبارك. في الصفحة الأخيرة، صورة للآنسة أم كلثوم، وبجوارها الشاعر أحمد رامي، والملحن الشاب رياض السنباطي، محتضنًا عوده، وتحت الصورة كلمات أغنية (افرح يا قلبي، لك نصيب تبلغ مناك، ويا الحبيب، افرح يا قلبي). ألقى نبيل نظرة سريعة على غادة، وتساءل بينه وبين نفسه، ما هي طبيعة الأحلام التي تجعل غادة سعيدة هكذا؟

في طنطا، توقف القطار طويلًا، وانضم لهما في المقصورة رجل خمسيني، على رأسه طربوش، ومعه فتاة في نحو العشرين من عمرها، ترتدي ملابس أفرنجية. حيا الرجل نبيل بهزة من رأسه، وبعد أن تحرك القطار، تجاذب الرجل أطراف الحديث مع نبيل.

- هل حضرتك مصري؟ لا تؤاخذني، فأنتَ لا تضع طربوشًا على رأسك، كما أن ملابسك غير مألوفة.

- إنني نصف مصري. مهجن، مختلط.

- أنا أيضًا أشجع فريق المختلط، لقد فاز الأسبوع الماضي على فريق النادي الأهلي بثلاثة أهداف. لقد سمعت أنهم ينوون تغيير اسم النادي إلى نادي (فاروق).

- في الواقع، أنا لا أهتم بلعبة كرة القدم.

- آه، أنا أحد كبار تجار القطن في طنطا، من عائلة فرغلي باشا، وأذهب كثيرًا إلى بورصة القطن في القاهرة، أو في الإسكندرية، أما ابنتي سنيّة، فقد تلقت تعليمها في مدرسة الفرنسيسكان، وهي تجيد الفرنسية، والعزف على البيانو.

- تشرفنا، أهلًا وسهلًا.

بين اليقظة والمنام، ومع صوت الرجل الثرثار الممل، واهتزازات القطار الرتيبة، وصل القطار أخيرًا إلى محطة باب الحديد، أو باب السكة الحديد، وفوجئ نبيل وغادة بالزحام الشديد، والأصوات المزعجة، ورأيا العديد من السيارات المسرعة، تشعر أن سائقيها غير متمكنين تمامًا من التحكم فيها، ودراجات، وعربات حنطور، وعربات ترام، مزدحمة بالبشر، حتى أن العديدين منهم يقفون على السلالم، ويتعلقون بأعمدة الترام بيد واحدة، بينما أجسامهم خارجه. في النهاية، قرر نبيل استئجار عربة

حنطور للذهاب إلى جامعة فؤاد الأول. كان الطريق طويلًا، والشوارع غير ممهدة، وغير نظيفة، والسائق يضرب بسوطه ظهر الحصان المسكين حتى يسرع قليلًا، وأخيرًا، وصلا إلى الجامعة. سألا على كلية العلوم، وسارا مسافة لا بأس بها حتى وصلا، وأخيرًا، قدس الأقداس، مكتب العميد، الدكتور علي مصطفى مشرفة.

****

الفصل التاسع

مشرفة

طرق نبيل باب المكتب بقوة، وانتظر قليلًا، حتى جاءه صوت قوي يدعوه للدخول. كانت غرفة المكتب صغيرة، تمتلئ بالكتب والمجلات، ولكن بنظام، وفي المنتصف، مكتب خشبي عتيق الطراز، ويجلس خلفه الدكتور مشرفة. لم يكن يشبه صورته المتداولة في كتبنا العصرية. قدر نبيل أنه لم يتجاوز الأربعين من عمره. رحب بهما الدكتور مشرفة، وطلب منهما الانتظار قليلًا، ريثما ينتهي من كتابة مقالة عن أنماط الموسيقى في مصر الحديثة. على الجدران عشرات الشهادات العلمية، ولاحظ نبيل أن هناك شهادتان من جامعة لندن، متطابقتين تقريبًا، ، إحداهما بتاريخ 1923، والأخرى بتاريخ 1924.

- الأولى عندما حصلت على الدكتوراه في فلسفة العلوم، يسمونها Philosophy Doctorate (Ph. D.). كل الحاصلين على الدكتوراه في أي مجال يحصلون على هذه الدرجة العلمية. حصلت عليها عندما كان عمري خمسة وعشرين عاما. أما الثانية، فهي دكتوراه في العلوم

Doctorate in Science (D. Sc.)، لم يتم منحها في العالم كله سوى لعشرة من العلماء، وأنا الحادي عشر. لا تبدوان طالبين في الجامعة، ولا صحفيين، كما أن ملابسك غريبة أيها الشاب، ولكن على كل حال أنا تحت أمركما. خيرًا إن شاء الله؟

حكى نبيل للدكتور مشرفة التجربة العجيبة التي مرا بها، وكيف أصابتهما الصاعقة عند تمثال سعد زغلول عام 2024، ثم وجدا نفسيهما فجأة في عام 1937، في نفس المكان، وأنه فكر أنه الوحيد الذي يستطيع أن يفسر لهما ما حدث أولًا، ثم يساعدهما ثانيًا على العودة إلى زمانهما. لم يقاطع الدكتور مشرفة نبيل، بل تركه حتى انتهى من روايته، وعلى شفتيه ابتسامة صغيرة، أخفى ملامحها شاربه القصير، والذي ذكر غادة بشارب هتلر، وإن لم تفلح نظارته السميكة في إخفاء نظرات عدم التصديق لما يقوله نبيل.

- هل تعلم أيها الشاب، نبيل، عندما كنت أدرس الدكتوراه في إنجلترا، كان هناك مؤلف عبقري، اسمه هربرت جورج ويلز، يعتبرونه رائدًا لأدب الخيال العلمي، وله مؤلفات عديدة، أعتقد أن عندي هنا نسخة من رواية (آلة الزمن)، أين هي؟ هل قرأتها؟ عظيم. إنه ما زال على قيد الحياة، وإن تحول حاليًا إلى الكتابة الفلسفية والتاريخية. ربما كانت قصتك هذه مصدر إلهام عظيم له.

- كنت أتوقع شيئًا مثل هذا يا دكتور، ولكن، هل لك أن ترى هذه الأشياء؟

وضع نبيل على مكتب الدكتور مشرفة هاتفه المحمول، وساعة يده الذكية المرتبطة بالهاتف، وبعض أوراق النقد المصرية الحديثة، من إصدار البنك المركزي المصري، أعوام 2023 و2024، كما وضع أمامه بطاقة الرقم القومي، والبطاقات البنكية ذات الشرائح المغناطيسية، وتبعته غادة، والتي قامت بفتح كاميرا هاتفها المحمول، والتقطت لنفسها صورة (سيلفي) مع الدكتور، ثم اقتربت منه لتريه الصورة. خلع الدكتور نظارته، وحدق في الهاتف لحظات، ثم تهاوى على كرسيه، غير مصدق. أمسك أوراق النقد، وسأل نبيل:

- مكتوب عليها جمهورية مصر العربية، متى حدث هذا؟

- عام 1952

- بل عام 1953. إنه تخصصي أنا يا دكتور. لقد قام بعض ضباط الجيش المصري بانقلاب على الملك فاروق عام 1952، وأجبروه على التنازل عن العرش لولي عهده الطفل أحمد فؤاد، ثم أعلنوا الجمهورية عام 1953.

- ولماذا يفعلون هذا يا فتاتي؟ إن الملك الشاب محبوب من الجميع، وهو يفعل ما بوسعه للتقرب إلى الشعب.

- لقد حملوه مسئولية الهزيمة في حرب 1948، وتدهور الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية في البلاد.

- هزيمة؟ هزيمة مِمَّن؟

- من إسرائيل.

- لا توجد دولة بهذا الاسم.

- بعد عامين من الآن يا دكتور، ستقع حرب عالمية جديدة، بين ألمانيا وإيطاليا واليابان من ناحية، وبين إنجلترا وحلفائها من ناحية أخرى، وستنتهي الحرب بعد ست سنوات، مع ملايين القتلى والجرحى، وبعد أن تستخدم أمريكا القنبلة الذرية ضد اليابان مرتين، وبعد انتحار هتلر. بعدها ستنشأ منظمة الأمم المتحدة، والتي ستقسم فلسطين بين العرب وإسرائيل عام 1947، وسيرفض العرب القرار، ويدخلون بزعامة مصر في حرب ضد إسرائيل عام 1948، وعندما تُهزم الجيوش العربية، سيكوّن بعض الضباط الصغار تنظيم الضباط الأحرار، والذي يقرر الانقلاب على الملك في النهاية.

- وماذا سيحدث لحزب الوفد؟ ومصطفى النحاس باشا، زعيم الأمة؟ والإنجليز؟

- ستحل حكومة الضباط جميع الأحزاب السياسية، وتحاكم النحاس وزوجته، وستخرج إنجلترا من مصر، قبل أن تعود مع فرنسا وإسرائيل ليشنوا عدوانًا ثلاثيًّا على مصر عام 1956.

- كفى . . كفى . . لا أريد أن أسمع المزيد. والآن، ماذا تريدان؟
- نريدك أن تساعدنا على الرجوع إلى عصرنا يا دكتور.
- بهذه البساطة؟ وهل قال لكما أحد إنني أمتلك آلة زمن؟
- التاريخ يقول يا دكتور إنك ساعدت أينشتاين في إثبات نظرية النسبية، والتي تتحدث عن إمكانية السفر عبر الزمن.
- إلى المستقبل فقط. لا يوجد عودة إلى الماضي. يمكنك السفر إلى الأمام، مثلما فعل أهل الكهف، ولكن لا يوجد عودة إلى الوراء، لا يوجد زمن بالسالب. ما هو تخصصك أيها الشاب؟
- الهندسة النووية.
- حسنا، إنه تخصص غير موجود حاليًا، ولكنه بالتأكيد سيوجد في المستقبل. أنت تعلم أنه لا يوجد شيء في الكون كله أسرع من الضوء، ولكي تسافر في الزمن يجب أن تتحرك بسرعة تقترب من سرعة الضوء، ولكي ترجع بالزمن إلى الوراء، فيجب أن تسافر بسرعة أكبر من سرعة الضوء. المشكلة أنه كلما ازدادت السرعة، كلما زادت الكتلة، وقل الحجم، وعند الوصول إلى سرعة الضوء، فإن المادة تتحول إلى طاقة.
- وكيف رجع بنا الزمن يا دكتور؟
- وكيف لي أن أعلم؟ إن ما تتحدث عنه يخالف كل القواعد العلمية المعروفة.

- حسنا يا دكتور، أنا لا أريد أن أفهم كيف حدث لنا هذا، أنا أريد أن نعود إلى زمننا.

- وكيف ستعودان إلى زمنكما؟

- لقد ظننت أننا سنجد الحل عندك يا دكتور، وإلا فإننا سنبقى أسرى لهذا الزمن.

مرت لحظات من الصمت والترقب، ولم يعد لدى أحد ما يقوله، حتى قطعتْ الصمت طرقات خافتة على باب الغرفة.

- تفضل.

- عفوًا يا دكتور، لم أكن أعرف أن عندك زائرين.

- زائرون وأي زائرين. أقدم لكم تلميذتي النجيبة، سميرة موسى، الطالبة بالفرقة الثالثة، والأولى على دفعتها، وواحدة من النابغات في هذا البلد.

- تلميذتك يا دكتور.

في هذه المرة، التقط نبيل هاتفه المحمول من على مكتب الدكتور، وفتح الكاميرا، والتقط صورة جماعية لأربعتهم، قبل أن يمد يده ليسلم على سميرة.

- إنه لمن دواعي سروري أن تشرفت برؤيتك يا سيدتي.

- اتركينا الآن يا بنيتي، ويمكنك المرور عليّ في نهاية اليوم الدراسي

- الآن وقد انصرفت، ما هو مستقبلها؟

- ستكون واحدة من نوابغ العالم في الذرة كما تنبأت لها يا دكتور، وعندما تقرر العودة من أمريكا وتطبيق أبحاثها في مصر، سيقوم الموساد باغتيالها.

- الموساد؟ ومن هو الموساد هذا؟

- إنه جهاز المخابرات الإسرائيلية.

- وماذا عني؟

- ...

- هل سأحصل على جائزة نوبل؟

- ...

- من فضلكم اتركوني وحدي قليلًا. لا تنصرفوا، يمكنكم فقط الوقوف خارج الحجرة بضع دقائق. خذوا معكم أدواتكم المستقبلية هذه، ولا تستخدموا هذه الكاميرا العجيبة مرة أخرى، حتى لا تثيروا الذعر أو الشكوك.

خرج نبيل وغادة بعد أن جمعا أغراضهما، ومن داخل مكتب الدكتور، انطلق عزف شجيّ على الكمان. تبادل نبيل وغادة النظرات، بعد قليل، توقف العزف، ثم مرتْ دقائق ثقيلة عليهما، وهما يفكران. نبيل يشعر أن بصيص الأمل الذي كان يعول عليه قد تسرب من بين يديه، وغادة، وعلى الرغم من عدم فهمها لكثير من المفردات العلمية التي استخدمها الدكتور، إلا أنها فهمت أنه لا سبيل للعودة لزمنهما، وأنهما

سيبقيان في هذا العصر، إلى أن يقضي الله أمرا كان مكتوبًا. أخيرًا، فتح الدكتور الباب، ودعاهما إلى الدخول مرة ثانية.

- هل تعزف على الكمان يا دكتور؟

- وعلى البيانو أيضًا، ولكن كان من الصعب أن أحضر بيانو إلى مكتبي في الكلية.

- عزفك رائع.

- شكرًا لك، إنها مقطوعة حزينة للموسيقار باخ، ألفها لرثاء زوجته الراحلة. والآن، فلنتكلم فيما هو هام، التفسير الوحيد لديّ لما حدث لكما هو أن الصاعقة قد نقلتكم بصورة ما إلى بعدٍ موازٍ. لست أدري هل تفهمون ما أقول أم لا، الكون الذي نعيش فيه يتكون من عدة أبعاد، تعيش كلها بالتوازي، بحيث لا يتقاطع بعدان. ما حدث هو أن الصاعقة قد فتحت بابا بين بعدين، البعد الذي تعيشون فيه، وبعدنا نحن. أنتم لستم من البعد الذي نعيش فيه، أنتم تعيشون في بعد آخر يسبقنا في الزمن بعدة عقود. الحل الوحيد عندي، هو المرور بعملية عكسية. عليكم أن تنتظرا حدوث صاعقة في منطقة تمثال الزعيم الراحل سعد باشا زغلول، وتحاولا أن تتعرضا لصاعقة، عسى أن تعيدكم إلى بعدكم، أو تلقي بكم إلى بعد ثالث، قد توغلون في الماضي، أو ربما المستقبل، مستقبلنا أو مستقبلكم. الله وحده يعلم.

- وهل الاحتمالات متساوية يا دكتور؟

- بالتأكيد لا. يمكننا استبعاد احتمال الرجوع أكثر في الماضي، الصاعقة أعادتكم إلى لحظة افتتاح التمثال، أو إلى الزمن صفر بالنسبة للتمثال. كما أن التمثال مصنوعٌ من البرونز، الموصل للكهرباء، كما أنه موجودٌ على ارتفاعٍ عالٍ، وبالتالي، فإنه يجذب الشحنات الكهربائية الموجودة في الصاعقة بسهولة.

- ألا توجد حلول أخرى يا دكتور؟

- بالتأكيد. الرضا بما جرت به المقادير، والعيش معنا في هذا البعد. ستكونان شخصين مميزين للغاية، تصور أن تدخل قاعة مسرح مليئة بالمشاهدين المتشوقين لرؤية ما يحدث للأبطال، بينما أنت الوحيد الذي شاهدت المسرحية من قبل.

- ولكني لا أريد أن أشاهد المسرحية مرة ثانية يا دكتور.

- إذن، فلتترقب العاصفة، وحتى يحدث هذا، فمن مصلحتكما ألا يعرف أحد عنكما أي شيء.

- بالتأكيد يا دكتور. شكرًا جزيلًا لحضرتك، وسعداء للغاية بمقابلتك.

- صدقوني، لقد كان من الممكن أن يكون هذا من أفضل ما مر بي من أحداث في حياتي، لولا ما أخبرتوني به. كيف يمكن أن أتواصل معكم إذا توصلت إلى فكرة أخرى؟

- يمكنك مراسلتنا على بنسيون مدام ماريكا، ميدان القناصل، الإسكندرية.

الفصل العاشر

الإسكندرية مرة أخرى

كانتْ رحلة العودة حزينة، صامتة، وحاولتْ غادة أكثر من مرة أن تكسر جو الكآبة الذي خيم عليهما بعد مقابلة الدكتور مشرفة، ولكنها لم تحصل من نبيل إلا على ابتسامة باهتة. عندما وصلا إلى الإسكندرية، ذهبا إلى بنسيون مدام ماريكا، كانت مستيقظة، وبابتسامة صغيرة قالت لهما إنها كانت تنتظرهما. أعطتهما مفتاح الغرفة، ورفضتْ أن تأخذ الإيجار.

في الصباح التالي، أصر نبيل على مغادرة البنسيون، ودفع إيجار يوم أمس لمدام ماريكا، طلب منها أن تحتفظ بأي خطابات قد تأتي له، وسيمر عليها، هو أو غادة، كل بضعة أيام، لتسلم أي خطابات قد تصل. انقضى النهار كله في محاولات البحث عن شقة مناسبة حسب المواصفات التي يريدها نبيل؛ شقة صغيرة، غرفة أو غرفتين، مفروشة، نظيفة، دور أرضي أو أول، بها كهرباء، وحمام أفرنجي، وراديو، وقريبة من تمثال سعد باشا، وإيجارها معقول. في النهاية، وبعد ما عرض عليهم سمسار المنطقة أكثر من

عشر شقق، استقروا على إحدى الشقق القريبة من الغرفة التجارية، على بعد خطوات من التمثال.

مرت الأيام بطيئة بانتظار أولى النوات، واكتشف نبيل أن هيئة الأرصاد الجوية لم تكن قد أنشئتْ بعد في هذا العصر. حاول نبيل أن يبحث عن أي عمل، يشغل به نفسه، وفي نفس الوقت، يغطي جزءً من المصاريف. حاول أن يعمل مدرسًا للعلوم، ولكن المدارس الحكومية كانت تطلب شهادة من مدرسة المعلمين العليا، والمدارس الخاصة (أو الأهلية) تعطي في اليوم بضعة قروش، بالمعنى الحرفي للكلمة. وجد عملًا معقولًا، وهو إمساك الدفاتر والحسابات لأحد كبار التجار اليهود في منطقة محطة الرمل، في شارع شكور، وهو الشارع الذي يقع فيه محل الهواتف المحمولة الذي كان يعمل فيه في عصرنا. كان نبيل يفتقد مطعم (محمد أحمد) وعم عبودة وشطائر الفول والطعمية، فمكان المحل الآن لم يكن سوى مخزن.

اكتشف نبيل بالصدفة أن جاره في السكن، عم مرسي، كان بحارًا قديمًا، ولكنه تقاعد الآن، فلم يعد سنه يسمح له بالعمل على المراكب في البحر، وأصبح يكتفي بصيد السمك بصنارته الصغيرة في منطقة السلسلة المجاورة. كان عم مرسي، بخبرته القديمة، وبحدسه الذي لا يخيب، يتوقع مواعيد النوات بدقة مدهشة، وأصبح عم مرسي يلعب دور الأرصاد الجوية في خطة صاعقة الزمن العكسية.

أما غادة، فمن فرط إعجابها بهذا العصر، وبدون أن تخبر نبيل، قامت بإرسال عدة خطابات إلى الملك، وإلى رئيس الديوان الملكي، وإلى رئيس الوزراء، تحذرهم فيه من تنظيم الضباط الأحرار، ومن بعض الأسماء بعينها، وذكرت لهم تواريخ وأحداث الحرب العالمية الثانية، وحرب فلسطين، لعلهم يأخذون حذرهم في الوقت المناسب.

وعلى الرغم من حماس البدايات، إلا أن جيرانها كانوا يعاملونها بكثير من الشك، فهي لا ترتدي ملابس بنات بحري المعروفة (الملاية اللف)، ولا تجيد تشغيل وابور الجاز (البريموس)، ولا تعرف كيف تملأه بالجاز، ولا كيف تستخدم الإبرة لتسليكه، كما أنها لا تعرف كيف تشوي السمكات التي يهديها لهم عم مرسي من وقت لآخر. ثم إن هناك تهمة خطيرة تحوم حولها طول الوقت؛ لا يوجد لديها أطفال، ولا يبدو عليها آثار الحمل، وهي تهمة لا تغتفر في هذا العصر، وفي هذا الوسط. أما ما لم يعرفه الجيران، فلقد باعت غادة آخر قطعة ذهبية معها، وما لم تنجح الخطة المستحيلة، فإن أيامًا صعبة ستنتظرها في الفترة القادمة.

في أحد الأيام، كانت غادة تتسلى بقراءة جريدة الأهرام، عندما وجدت تحقيقًا صحفيًّا عن السيدة نبوية موسى، صاحبة مدارس بنات الأشراف الأهلية لتعليم الفتيات. عرفت غادة عنوان المدرسة، وتقمصت شخصية صحفية، وقامت بإجراء حوار مع التربوية الرائدة. استطاعت غادة أن تنال إعجاب المربية الفاضلة، حتى أن الأستاذة نبوية عرضت على

غادة أن تعمل معها، في التدريس أو في الإدارة، ووعدتها غادة بأن تعرض الأمر على زوجها، نبيل، وأن ترد عليها في أقرب وقت. وبرغم تنبيهات نبيل المتكررة، وبرغم تحذير الدكتور مشرفة، لم تستطع غادة أن تمنع نفسها من التصوير (سيلفي) مع السيدة العظيمة، وأن تقنعها بأن هذه الآلة العجيبة هي كاميرا صغيرة الحجم، اشتراها لها والدها من الخارج. فكرتْ غادة في أنها تستطيع أن تجري العديد من المقابلات مع مشاهير العصر، وربما تؤلف كتابًا عنهم عندما ترجع إلى زمنها، إنْ رجعتْ.

أما نبيل، فقد بدأ الشك يتسرب إلى نفسه، ولم يعد يعرف تمامًا، أي عصر هو الأفضل؟ عصر التكنولوجيا والانترنت والهواتف المحمولة والتلفاز والتكييف والكهرباء والمياه النظيفة، أم هذا العصر، الخالي من كل هذا. فباستثناء الطبقة الراقية، من أصحاب الأموال والمصانع والمحلات والأراضي الزراعية، وبالطبع الأجانب، واليهود، وخصوصًا اليهود، فإن أغلبية الشعب يعاني من البؤس والفقر بدرجة مزرية، وبالرغم من هذا، فهم سعداء، مبتسمين طول الوقت، راضين بما قسمه الله لهم، ولا يعانون من أمراض عصرنا الحديث، التوتر، الاكتئاب، اللهاث الدائم خلف لا شيء، والبعد عن الله. لقد صار نبيل يصلي معظم الفروض في المسجد، ويقرأ كثيرًا في القرآن الكريم، وازداد تقبله تدريجيًّا لقضاء الله وقدره.

وفي أحد أيام شهر أكتوبر، طرق بابهم عم مرسي، مهديًّا إليهم بعض صيده، ومحذرًا إياهم من النوَّة القادمة. يقول إنه يشم رائحتها في

الهواء، وإنها ستبدأ الليلة. نصحهم بإغلاق الأبواب والنوافذ، وارتداء الثياب الثقيلة، وإحكام الأغطية عليهم وقت النوم. طلب منهم بعض الجرائد القديمة ليضعها بين صدره وملابسه، وأخبرهم أنه لن يخرج للصيد حتى تنتهي النوة.

أخيرًا جاءتْ الليلة الموعودة، واستعد نبيل وغادة لمغامرة الليلة، فربما . . . ارتدوا ملابسهم الثقيلة، وأمسك نبيل بمظلة مطر قوية، وأمسكت غادة بحقيبتهم الوحيدة، ووضعت بداخلها حقيبتها الصغيرة، وتذكارات الفترة السابقة. تحرك نبيل وغادة باتجاه التمثال. كان الوقت ليلًا، والمدينة تستعد للنوم، والمحلات تغلق أبوابها، والشوارع تخلو من المارة. بعد دقائق، كانا يلتصقان بقاعدة التمثال، ويدعوان الله أن ييسر لهما ما فيه الخير لهما. سمعا هزيم الرعد من بعيد، ثم انفتحت أبواب السماء. فتح نبيل المظلة بسرعة، وهو يمسك بيد غادة باليد الأخرى. استمر المطر يهطل مدرارًا، ولم يتوقف إلا بعد ما يقرب من ساعة، وبعد ما أصابهما ما أصابهما، برغم المظلة. قرر نبيل وغادة أن يعودا، قبل أن يصابا بالتهاب رئوي، أو على الأقل نزلة برد شديدة. استبقا الباب، وتذكرا عندما دخلا، أنه لا يوجد سخان ماء، وأن عليهما أن يسخنا الماء في آنية كبيرة، على وابور الجاز، ثم يستحما بالماء الساخن، ولا مانع من الاستمتاع بالدفء والحرارة المنبعثة من الوابور، وإن كانت برائحة الجاز.

فكر نبيل، العبرة ليست في العاصفة أو النوة، ما نريده هو البرق. هل يستطيع عم مرسي أن يتنبأ بالصواعق. لثلاثة أيام متتالية، تكررت المغامرة بحذافيرها. كان عم مرسي قد قال لهم إن النوة تبدأ ضعيفة، ثم تشتد تدريجيًّا، حتى تصل إلى ذروتها في اليوم الرابع، ثم تفقد قوتها وشدتها في اليوم الخامس والأخير. اليوم هو اليوم الرابع. في الصباح، أصرتْ غادة على أن تذهب إلى مدام ماريكا، بحجة السؤال عن أي خطابات وصلتْ، ولكنها في الحقيقة أرادتْ أن تودعها. كان لديها شعور داخلي بأن هذا اليوم هو يومهم الأخير في هذا العصر. نبيل أيضًا كان عنده مثل هذا الشعور. أنهى عمله في محل شارع شكور، وذهب إلى عم مرسي ليودعه. أخبره أنه سيسافر هو وزوجته، وأنه لا يعرف إن كانا سيعودان أم لا. أعطاه كل الجرائد التي يحتفظ بها، وأعطاه أيضًا الطعام الذي كان لديهما، وعندما أراد أن يعطيه بعض النقود، رفض عم مرسي رفضًا تامًا. قَبِل منه الطعام والجرائد، وأخبره أنهما قد يحتاجان إلى هذه النقود في سفرهما. عانقه عم مرسي، وتمنى له التوفيق، ودعا الله له بسلامة الوصول. عندما أنهى نبيل وغادة استعداداتهما، قرر نبيل أن يبعث برسالة أخيرة.

"الإسكندرية في 6 أكتوبر 1937.

عزيزي الدكتور مشرفة . .

أكتب لك هذه الرسالة قبل أن أتوجه مع غادة لتكرار التجربة للمرة الرابعة. إننا نشعر أنا وغادة أن هذه الليلة هي الليلة الموعودة. ربما اكتسبنا حدسًا أو سَمهِ وحيًّا أو إلهامًا، ولكنني أردت أن أشاركك هذه اللحظات.

يقول جارنا البحار العجوز عم مرسي، إن النوَّة الليلة ستكون أكثر قوة وشدة. لقد استعددنا جيدًا أنا وغادة هذه المرة، وسنبدأ في التحرك الآن، بعد أن أنهي هذه الرسالة. ربما يصل إليك هذا الخطاب بعد يومين أو ثلاثة، فإذا لم يصلك مني خطاب آخر، فمعنى هذا أن محاولة الليلة قد نجحت، أو على الأقل، إننا لم نعد في هذا البعد.

مع تحياتي وتقديري لشخصكم العظيم.

نبيل."

وضع نبيل الرسالة في مظروف أبيض، وأغلقه، وألصق عليه طابع بريد، عليه صورة الملك فاروق، بعد أن بلل الطابع بشفتيه. كتب على المظروف من الخارج عنوان الدكتور مشرفة، كلية العلوم، جامعة فؤاد الأول، ولم ينسَ أن يشكر ساعي البريد.

في الليل، صلى نبيل وغادة معًا، لأول مرة. دعيا الله كثيرًا، ثم انطلقا. في الطريق، وضع نبيل المظروف في صندوق البريد (البوستة)

الأحمر، ذي الهلال والنجمة. كانت السماء صافية، والنجوم متلألئة، والسكون يخيم على المكان، وشعر نبيل أن هذه الليلة تشبه ليلة القدر، ضغط على يد غادة، وأحس بها تبكي في صمت، وعندما وصلا تحت التمثال، احتضنها، وأغمض عينيه، ولم يفتح المظلة.

****

الفصل الحادي عشر

النهاية

برغم إغلاقه لعينيه، أحس نبيل بوميض البرق ينفذ إلى عينيه، وبعده بثوانٍ، سمع هزيم الرعد، وشعر بغادة ترتجف بين ذراعيه، ويداها تضمانه إليها بشدة، وكأنها تريد أن يحتويها بداخله. شعر بقطرات المطر الكبيرة تسقط على رأسه، وأحس بالشحنات تملأ شعيرات جسمه، وفجأة توقف كل شيء. وسمع نبيل صوتًا يناديه في خفوت:

- باشمهندس نبيل، باشمهندس نبيل.

- مَنْ؟

- أنا سايكو.

- سايكو؟

- إنك تحتضن الآنسة في وضح النهار يا باشمهندس، وإذا مرتْ الدورية الآن، فسيكون موقفكما عصيبًا.

فتح نبيل عينيه، كانت الحديقة هي هي، كما تركها منذ .. كم؟

- سايكو، في أي عامٍ نحن؟

- ماذا جرى لك يا باشمهندس، هل تفعل بك بعض الأمطار كل هذا؟
- في أي يوم نحن؟ كم الساعة الآن؟
- لا حول ولا قوة إلا بالله. انظر في هاتفك المحمول يا باشمهندس.

اختطف نبيل من غادة الحقيبة الكبيرة، أخرج منها حقيبتها الصغيرة، وبسرعة راح يفتش عن الهواتف المحمولة حتى وجدها. نفس اليوم، نفس التاريخ، فقط، مرت بضع دقائق على لقائه بغادة. هل حدث كل هذا في بضع دقائق؟

- شاي بالنعناع يا باشمهندس؟
- بل (سبيرو سباتس)، لا، لا، فليكن شربات الورد، ولتوزع منه على كل من بالحديقة، فلقد تزوجت أنا والآنسة غادة.
- لا حول ولا قوة إلا بالله. هل تعاطيتَ شيئًا يا باشمهندس؟

حمل نبيل غادة عاليًا، ودار بها عدة دورات في الهواء، قبل أن ينزلها، ويركع على ركبة واحدة، ويمسك يدها وهي يسألها:

- هل توافقين على الزواج مني؟

د. طارق إبراهيم الشناوي

الإسكندرية ـ مصر

****

محتويات الرواية

إهداء..... 4
الفصل الأول..... 5
نبيل نهرو..... 5
الفصل الثاني..... 12
غادة..... 12
الفصل الثالث..... 18
تحت تمثال الزعيم..... 18
الفصل الرابع..... 25
شيء عم بيصير..... 25
الفصل الخامس..... 33
الصاعقة..... 33
الفصل السادس..... 41
في زمن آخر..... 41
الفصل السابع..... 48
اليوم الأول..... 48

الفصل الثامن..... 55
إلى القاهرة 55
الفصل التاسع 63
مشرفة..... 63
الفصل العاشر 72
الإسكندرية مرة أخرى..... 72
الفصل الحادي عشر 80
النهاية..... 80
محتويات الرواية 82

dewanalarabegypt@gmail.com

01030502390

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.